مولد العقيلة زينب عليها السلام

الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي •

يا دوحة بسقت في المنبت الزاكي ... حيا الحيا ربعك السامي وحياك
حاكيت شمس الضحى والبدر مكتملا ... أباً وأماً وكان الفضل للحاكي
أبوك حيدرة والأم فاطمة ... والجد أحمد والسبطان صنواك
فخر لعمر العلى ما ناله أحد ... إلاك يا بضعة الزهراء إلاك
لك المقام الذي ما زال مشتملا ... على ملائكة غر واملاك
يقبلون ضريحاً ضم ناسكة ... ترعرعت بين زهاد ونساك
يبكون من خيفة والثغر مبتسم ... من المسرة يا للضاحك الباكي
ويصدرون وفي أيديهم سبب ... من المحامد موصول بذكراك
أولاك مولاك مجداً لا يرام فما ... أحراك بالغاية القصوى وأولاك
لجيد مجدك أطواق الثنا خلقت ... جل الذي بحُلى الفضل حلاك
طوبى لمن شم يوماً من حماك شذا ... لأن من جنة الفردوس رياك
إني لأغبط مخدومين قد خدما ... مثواك يا قدس الرحمن مثواك
هما لعمر العلى بدران تمهما ... وحسن حالهما من بعض حسناك
من كالحسين وقد أمسيت عمته ... فلو دعوت أمس الناس لباك
ومن يداني عليا وهو منتسب ... للمرتضى وهو مولاه ومولاك
تقاسما خطط العلياء وارتضعا ... ثدي العلى حافلا في ظل مغناك
غيثان لا يعدم المضطر غوثهما ... لأن جودهما من فيض جدواك
وحسب هذين فخراً أن ذكرهما ... يا درة التاج مقرون بذكراك
اليك يا مفزع الراجي مددت يدي ... وأنت أدرى بما يرجوه مولاك
وكيف لا يطلب الدنيا وضرتها ... مولاكم وهما أدنى عطاياك

مُحتَوياتُ العَدَد

ص٨

ص٨٤

ص١٢٦

ص٥٦

كلمة العدد

شهر الاستغفار

أسرة المجلة ٦

قرآنيات

دلالة الجند والجنود في القرآن الكريم

م. هاشم جعفر الموسوي ٨

فرائد القرآن الكريم بين أصالة اللفظ وتمكن الدلالة

د. عادل عباس النصراوي ١٢

ترجمة القرآن الكريم بين التأييد والمعارضة

د. عبد علي حسن الجاسمي ٢٠

آمن الرسول

منهج أهل البيت عليهم السلام في حفظ السنة النبوية

علي عبد الزهـرة الفحام ٢٦

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٣٦

استطلاع العدد

مرقد السيد إسماعيل الديباج

حيدر الجد ٤٤

واحة الأدب

قصة قصيرة: حكمة الله

بنت العـراق ٥٨

قصيدة: شهيد السجون

مهدي جناح الكاظمـي ٦١

إضاءات السيرة

الإمام الحجة عليه السلام رحمة للبشرية

الشـيخ علي اليـماني ٦٤

ص٣٦

ص٦٤

ص٩٨

ص٢٦

للفضيلة نجومها

أحمد بن علي النجاشي

الشيخ حميد البغدادي ٦٨

السيد محسن الأمين العاملي

م. م. مجيد حميد الحدراوي ٧٤

طروحات عامة

الأصول العامة لمناهج التربية والتعليم في العراق

د. حيدر نزار السيد سليمان ٨٤

فلسفة العقوبة في التشريع الإسلامي

أسعد عبد الرزاق فرج الله ٩٠

أثر النص المقدس في اتخاذ القرار المعماري

د. عبد الله سعدون المعموري

م. محاسن هادي خلف ٩٨

وهل يتلو الشيطان قرآناً؟!

د. نضير الخزرجي ١٠٦

التوتر والضغط النفسي وآثاره السلبية على الخصوبة

د. محمد باقر فخر الدين ١١٢

الصلات التاريخية والحضارية بين النجف والحيرة

د. محمد جواد فخر الدين ١٢٠

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ١٨

تحويل القبلة ٥٦

أحضر الناس جواباً ٧٨

حكاية مستبصر.. أحمد راسم النفيس ١٢٦

مسابقة العدد (٣٧) ١٢٩

شهر الاستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل سبحانه وتعالى الشهور عنده اثنا عشر شهراً، وميّز كل شهر منها بخصوصيات غيبية لا تصل إليها عقول البشر، ففرض في بعضها الصوم وفي بعضها الآخر الحج وأخرى غير ذلك. ثم ميّز بعض الشهور عن بعض بأن جعل بعضها أشهر حُرم، حرّم فيها القتال والمنازعات التي تؤدي إلى سلّ السيوف وبغي بعضٍ على بعض، كل ذلك لحكمة إلهية ربما تكونٌ في بعضها غير معروفة، ثم أضيفت على ذلك مناسبات دينية شريفة حدثت في بعض الشهور حتى امتاز فيها على غيرها مما جعل لها ميزات إضافية، وزادت فضله فضلاً.

ومن هذه الشهور وما تميزت به من خصوصيات تكوينية وتشريعية هي شهر رجب ويتبعه شعبان اللذان نحن على أعتابهما.

فقد تميّز شهر رجب بأن جعله الله تعالى شهراً حراماً من الشهور الأربعة التي حرم فيها القتال لحرمته، كما جعله من الشهور التي يقبل فيها التوبة من عباده، حتى ورد الحثّ الكثير على استحباب الاستغفار والتزود بالتوبة والتوجه إلى الله تعالى في غفران الذنوب والاعتراف بما سلف في الماضي من المعاصي والخروج عن العبودية والاستهوان بأمر الله سبحانه.

وقد جاء حث النبي صلى الله عليه وآله في نصوص كثيرة نذكر فيها النص المعروف بأنه صلى الله عليه وآله قال: «**رجب شهر الاستغفار لأمتي... أكثروا فيه الاستغفار فإنه غفور رحيم... استكثروا في رجب من قول استغفر الله، واسألوا الله الإقالة والتوبة فيما مضى والعصمة فيما بقي من آجالكم... ثم قال: وسمي شهر رجب شهر الله الأصب لأن الرحمة على أمتي تصب صباً فيه، ويقال: الأصم لأنه نهي فيه عن قتال**

المشركين وهو من الشهر الحرم...».

ويتضح من هذه الرواية الشريفة أن الله سبحانه وتعالى أوعد عباده المؤمنين بالنظر إليهم في هذا الشهر والعود عليهم مغفوري الذنوب لكن بشرط الإنابة منهم واللجوء إليه سبحانه والاعتراف بهتك حرمته والتعدي على قوانينه الشرعية، فإن الله سبحانه يقبل فيه التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات التي انتابت العبد بجرمه وتعديه. فهو شهر من الشهور التي يفتح الله فيه أبواب التوبة والعفو عن الجرائر فعلينا التوجه إلى ما أمر الله تعالى به من حسن التوبة والنزوع عما كنا عليه من المعاصي والآثام.

وقد ذكروا للتوبة فوائد جمة لعل من أهمها هي الاستكانة التي تنتاب العبد وهي من أهم العوامل الرابطة بين العبد وسيده والتي تحقق نوعاً من اللجوء إليه ومعرفة الجميل لديه. وإن كانت نعم الله سبحانه أسبق من ذلك بكثير فهو صاحب النعمة والبادئ بالفضل، إلا أن شعور العبد بخروجه من حضيض استحقاق العقوبة إلى أوج العبودية والرعاية من سيده وخالقه يولد فيه شعوراً بالكرامة والاعتزاز والأهمية فيشتد ارتباطه بمولاه فقد يحسن أداءه فيما يأتي من عمره.

وقد أضاف الله سبحانه وتعالى لهذا الشهر فضلاً وأهمية على ما هو عليه من الفضل بأن جعل فيه أعظم المناسبات الدينية شرفاً وأبعدها غوراً وأعلاها رتبة ألا وهي مناسبة مبعث سيد الأولين والآخرين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، بعثه بالرحمة والهداية للبشرية وجعل شريعته خاتمة الشرائع وقد سنّ للبشرية سناً تضمن لهم سعادة الدار الآخرة إضافة إلى ما تحويه من النظام المحكم والتنسيق المنقطع النظير للحياة الاجتماعية لو سنحت الفرصة لتطبيق ذلك.

وأضاف إلى ذلك الفضل فضلاً والشرف شرفاً بأن كانت ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، سيد البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله الشخصية المثالية التي لم يعرف التاريخ مثيلاً لها بعد خاتم الأنبياء. وهناك مناسبات دينية أخرى.. فحري بنا أن نقف متأملين هذه المناسبات الشريفة ومستقين منها العظات عرفاناً منّا بالجميل لأصحابها وربطاً لنا بهم وشدّاً لقلوبنا اعتقاداً بهذا الدين، وإيماناً بما جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا يفوتني ذكر شهر شعبان المعظم وما فيه من الخصوصية التشريعية وما كان فيه من المناسبات الدينية والتاريخية التي يتأكد علينا إحياؤها مع ما فيها من الفضل في الاستزادة من الطاعات والقربات. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك إنه ولي المؤمنين وهو أرحم الراحمين ■

أسرة المجلة

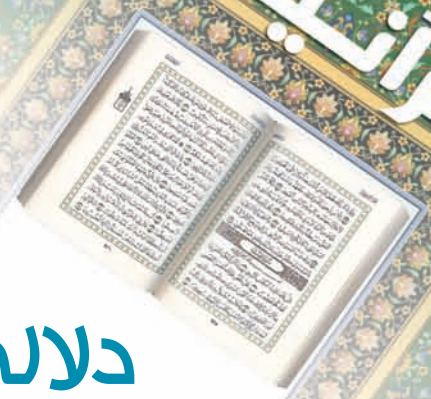

دلالة الجند والجنود في القرآن الكريم

م. هاشم جعفر الموسوي •
كلية التربية/ جامعة بابل

ينابيع

ورد في معنى اللفظ هذا الجذر اللغوي: (الجيم والنون والدال: يدلُّ على التجمع والنُّصرة، يقال: هم جندُهُ، أي أعوانُه وأنصارُه)[1] ويقال فلان جنَّد الجنود. والجنود جمع جندي، وهو بمعنى المجتمع القوي من كل شيء. وسمّي العسكر جنداً، لتزاحم الأفراد فيه وقوتهم[2].

وقد ذكر لفظ (جند وجنود) كثيراً في القرآن الكريم. إذ وصل عدد مواضعه في التنزيل العزيز (٢٩) موضعاً. ويلحظ في سياق النص القرآني الذي ورد فيه لفظ (الجند) أن الله سبحانه وتعالى كان دائم الاستهزاء بجند الكفار الذي يعد لمحاربة الله ورسوله، قال تعالى: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) (ص الآية١١). أي ما هم إلا جيش من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم معسكرهم عما قريب فلا تبال يا رسول الله بما يقولون[3]. ولا يخفى ما أفادته (ما) هنا من جمال في تناسق الآية. وما زادته على قوة معناها، إذا أفادت غاية الاستهزاء بهذا الجند وما اعتقدوه في أنفسهم بأنهم قادرون على الغلبة والنصرة في مواجهة تدبير الله وحكمته المتعالية. وقال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام ولحاق فرعون وجنوده به: (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) (الدخان الآية٢٤) فلما أصرَّ فرعون على اللحاق بالنبي موسى

واستكبر في نفسه وعلا علواً كبيراً حتى إنه خرج بنفسه لمحاربة الله ورسوله، وكاد أن يصل إلى جند الحق، ولكن الله بين لرسوله أن هذا التدبير منه عزَّ وجل إنما هو استدراج لجند الأعداء ليصلوا إلى نهايتهم المخزية وتنكسر شوكتهم، فأمره بترك البحر مفتوحاً على حاله وأكد له غرق فرعون وجنوده فيه، يستفاد ذلك من التأكيد بـ(إنَّ) المسندة إلى ضميرهم. ومن صيغة اسم المفعول (مغرقون) واستهزأ الله بكفار مكة فخاطبهم: (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) (الملك الآية ٢٠).

فاستنكر عليهم (جلَّ وعلا) ظنَّهم أنَّ هذا الجند الذي جمعوه واعتقدوه بقدرته على نصرتهم قادر على نصرهم إن أراد الله بهم الهزيمة وأرسل عليهم عذابه.

ويتضح من سياق الآية الكريمة شِدَّة تحدي الله سبحانه جيش المشركين، لذا جيء بـ(ها) التنبيه، زيادة في التحذير والتنبيه وهو ما يقتضيه المقام، إذ الكلام وارد في سياق التخويف من قدرة الله وبطشه، والمقام مقام ترهيب وإنذار وتحذير. وعبَّر عن ضعف هذا الجيش في مكان آخر، فقال: (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) (مريم الآية ٧٥) ويستفاد من صيغة اسم التفضيل والتمييز (أضعفُ جنداً) بأنّ جيش الكفار لا يملك قوة تذكر، فهو في غاية الضعف عند مواجهة المؤمنين الصابرين أو في يوم القيامة. وهو أهون شأناً على الله سبحانه لا كما قدروا لأنفسهم بأنهم (خيراً مكاناً وأحسن جنداً).

وفي مقابل استهزائه (عزَّ وجل) بجيش الكفار، رفع سبحانه شأن جنده المؤمنين،

فقال: (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (الصافات الآية ١٧٣) ولا شك في أن الإتيان بصيغ التأكيد (إنَّ واللام والخبر المشتمل على مبتدأ وخبر) قد أفاد معنى أنّ الغلبة لجند الله ولمن تابعهم في الدنيا والآخرة. ولا يلزم من انهزامهم في بعض المشاهد مع الأعداء القدح في ذلك، لأن العاقبة تكون لهم لا محالة.

وثمَّة ملمح دلالي يلحظ في آيتين قرآنيتين ورد فيهما لفظ (جنود). الأولى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الفتح الآية ٤).

والثانية قوله تعالى: (وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا* وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (الفتح الآية ٦-٧).

ولعلَّ السر في اختلاف التعبير أنَّ الكلام في الآية الأولى متصل بإنزال السكينة وازدياد المؤمنين إيماناً، فقال تعالى: (عليماً حكيماً)، إذا الموضع موضع علم وحكمة.

وأما الآية الثانية فهي في موضع عذاب وعقوبات، فقال تعالى: (عزيزاً حكيماً)، إذ المقام مقام عزة وغلبة وحكم[٤].

وجاء لفظ (الجنود) مكرراً في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الأحزاب الآية ٩).

ونلحظ في سياق الآية أنّ لفظ (جنود) الأولى جاءت نكرة تامة في حالة رفع، دلالة على كثرة جنود الأحزاب الذين تجمعوا من قبائل متعددة وساندهم اليهود لغزو المدينة يوم الخندق، فالتذكير هنا يصور هذا الجمع الكبير المتكالب المستعد للعدوان.

وأنَّ لفظ (جنوداً) الثانية جاءت نكرة موصوفة بالجملة الفعلية (لم تروها) في حالة نصب، دلالة على التعمية والاختفاء، لأنها تخص ملائكة الرحمن الذين نزلوا لنصرة المؤمنين[٥]. وفي ذلك دلالة نفسية كبيرة عند المؤمنين وعند أعدائهم، فهي عند المؤمنين تدل على المدد الرباني في أوقات الشدة. أما عند المشركين والمنافقين فإنها تعني الرهبة والشدة، ولاسيما أن الآية سبقت لفظ (جنوداً) بلفظ (ريحاً) النكرة الدالة على الشدة والدمار والرعب. فتهيّأ بهذا جو مشتعل رعباً وضجيجاً وجَلَبة، وفي وسط كهذا تنزل الملائكة، ويظهر فعلها في مطاردة الأحزاب وقتلهم ■

---

(١) مقاييس اللغة: لابن فارس ١/ ٤٨٥ (جند).
(٢) ينظر: الصحاح للجوهري ١/ ٤٥٧ (جند).
(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/ ٧٥.
(٤) ينظر: التعبير القرآني د. فاضل السامرائي ١٦٠-١٦١.
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/ ١٢٧.

المسجد الأقصى

المسجد الأقصى بمدينة القدس في فلسطين المحتلة، وسمي بالأقصى لبعده من المسجد الحرام. وقيل: لأنه أبعد المساجد التي تزار. له مكانه خاصة عند المسلمين، حيث إنه أحد المساجد الكبيرة والمهمة في العالم الإسلامي الذي بارك الله حوله، إذ كان قبلة المسلمين قبل الكعبة في البيت الحرام، فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فله قدسية لدى المسلمين في جميع أقطارهم، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة (في البيت)، وهو محطة معجزة المعراج للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وقاعدة الانطلاق به إلى السماء في الإسراء. حيث ورد اسمه في القرآن الكريم: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**).

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في ذكر الآية المتقدمة: (...فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم أمر جبرائيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: حي على خير العمل، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله، أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا). (الكافي للكليني ٨/ ١٢١) ■

فرائد القرآن الكريم

بين أصالة اللفظ وتمكن الدلالة

د. عادل عباس النصراوي •
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

اتسمت المفردة القرآنية بالفصاحة ودقة المعنى وتمكن الدلالة في موضعها، ومناسبتها لغيرها من المفردات في السياق الخاص، فضلاً عن اتساقها وملائمتها للسياق القرآني العام، فلا تخلو مفردة من أثر فعال يقوم المعنى ويبرز الدلالة المتوخاة للجملة القرآنية، ويرتبط بما قبله وبعده بنظم دقيق، هذا في عموم القرآن.

بيد أن في النظم القرآني تظهر شذرات تكاد تكون بارزة ومتميزة على غيرها من حيث الموقع والدلالة والصوت وغيرها من الصفات الأخرى، حتى بدت في أعلى قيم الفصاحة، وقد اصطلح العلماء على تسميتها بالفرائد وهي (تنزل منزلة الفريدة من حب العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها)[1] وتتسم بالجزالة والقوة والأصالة، (وتكون هذه اللفظة إذا سقطت على الكلام عزت على الفصحاء غرابتها، وقد جاء في الكتاب العزيز غرائب لا يقع مثلها لمخلوق، وهي من الكثرة في القرآن بحيث يعسر حصرها)[2]، منها (حَصْحَصَ) في قوله تعالى: (الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ)[3]، و(الرَّفَثُ) في قوله سبحانه: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)[4]، ولفظة (فُزِّعَ) في قوله عز وجل: (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ)[5]، ولفظة (خَائِنَةَ) في قوله سبحانه: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الصُّدُورُ)[٦]، قال ابن أبي الأصبغ المعدي: (وهذه الفريدة أعجب من كل ما تقدم، فإن لفظة (خَائِنَةَ) بمفردة سهلة مستعملة كثيرة الجريان على الألسن، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما حصل لها في النفوس من هذا الوقع بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها، ولا يكاد يقع ذو فكر سليم، وذهن مستقيم على شبهها)[٧].

ففرائد القرآن ألفاظ وردت فيه مرة واحدة غير مكررة، متمكنة في موضعها فصيحة في لفظها، سهلة في نطقها، غريبة في دلالتها، (وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فالقرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس)[٨].

وهذه بعض الأمور من فرائد القرآن الكريم:

١ـ الفريدة (قِطَّنَا) في قوله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ)[٩].

القط في اللغة (القطعُ عامة، وقيل هو قطع الشيء الصلب)[١٠]، فتوسع في استعمالها ليشمل الحظ والنصيب والجزاء والرزق، وغيرها من المعاني التي تحوم حول أصل المعنى. قال الخليل (ت١٧٥هـ): (القَط كتاب المحاسبة، وجمعه أقطاط، والقط: النصيب، لقوله تعالى: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ)[١١]، فيما ذهب أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) إلى أن القط جمع قطوط، وهي الكتب بالجوائز[١٢]. ولعل أحسن ما قيل في معناه ما قاله بيان الحق النيسابوري (ت بحدود ٥٥٥هـ) في قوله تعالى: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا) إذ يقول: (ما كتبت لنا من الرزق، وقيل من الجنة ونعيمها وقيل من العذاب، وأصله القطع، ومنه قط

القلم، وما رأيته قط، أي قطعاً، ثم سمي الكتاب قطاً لأنه يقطع ثم يكتب، قال أمية بن أبي الصلت:

قوم لهم ساحة العراق وما

يجبى إليه القط والقلم)[١٣].

وكل هذه المعاني المذكورة ما هي إلا أجزاء من شيء معلوم ومقسوم على حصص تعطى أو توهب. وقيل غير ذلك في معناه، منها الصك بالجائزة[١٤]، أو هو الصحيفة وهو اسم للمكتوب فيه ثم قد يسمى المكتوب بذلك كما يسمى الكلام كتاباً، وإن لم يكن مكتوباً)[١٥].

في خضم هذه المعاني والدلالات المتعددة يمكن أن نحدد بعض المعاني التي يطلبها السياق الذي جاءت فيه هذه الفريدة المباركة. فقد جاءت الآية الكريمة في سياق إنكار نبوة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله والإصرار على عبادة الآلهة دون الله تعالى، ثم تطور الأمر إلى الاستهزاء بالجزاء من النعيم وغيره في يوم القيامة، فقالوا: (عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) أي عجل لنا عطايانا ومكافآتنا من النعيم على وجه السخرية، فيكون القط هنا بمعنى العطاء والمكافأة، ولكن لِمَ لم يستعمل محلها الجائزة أو الصك؟ وهي من معانيها كما ورد سابقاً.

إن الجائزة في اللغة (العطية وأصله أن أميراً واقف عدواً وبينهما نهر، فقال: من جاز هذا النهر فله كذا، فكلما جاز واحد أخذ الجائزة)[١٦]، فيكون معناها أخذ العطية والمكافأة حالاً لا على وجه التأجيل أو التأخير، فيما أن القط في الآية المباركة تكون عطية أو جائزة في وقت مؤجل لا في لحظة إعطاء الكتاب المخصص لها، لذا فإن استعمال الجائزة هنا لا يكون دقيقاً بقدر استعمال القط.

وكذلك لا يمكن أن يستعمل بدلها (الصك) لأنه لفظ أعجمي، قال ابن منظور: (الصك: الكتاب، فارسي معرب، وجمعه أصك وصكوك وصكاك، قال أبو منصور: والصك الذي يكتب للعهدة، معرب أصله جك، ويجمع صكاكاً وصكوكاً، وكانت الأرزاق تسمى صكاكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة)[١٧].

فهنا يفترق الصك عن القط، في كون الصك فارسي معرب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين ولا وجود فيه لمعرب أو أعجمي أبداً، ثم إن الصك خاص بعهدة الأرزاق والرواتب، لا للجوائز والعطايا.

عليه فإن لفظتي الجائزة والصك لا يمكن أن تدل على المعنى المطلوب في قوله سبحانه: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ)، فجاءت متمكنة في مكانها قوية في دلالتها ناصعة في بريقها ولا يعوض عنها غيرها.

٢ـ الفريدة (ضيزَى) في قوله سبحانه: (تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى)[١٨].

توزعت ضِيزَى بين معاني الجوز ونقض الحق أو بخسه ومنعه، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (القسمة الضِيزَى: الناقصة، يقال ضيزته حقه إذا منعته)[١٩]، وعند الراغب الاصفهاني بمعنى ناقصة[٢٠].

ولم يخرج علماء التفسير عن هذه المعاني والدلالات، فقد نقل عن زيد بن علي عليه السلام أن معناها جائرة[٢١]، وعن أبي عبيدة أنها ناقصة[٢٢].

تأتي (ضئزى) مهموزة، ولم يقرأ أحد من القراء، وفرق بيان الحق النيسابوري بينهما فقال: (تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى) جائرة، وبالهمزة ـ ضئزى ـ ظالمة، أنشدت

في الأول:

ضأزت بنو أسد بحكمهم

إذ يعدلون الرأس بالذنب

وفي الثاني:

إن تنأ عنا ننتقصك وإن تقم

فحظك مضؤوز وأنفك راغم[٢٣]

غير أن هذه المعاني المذكورة آنفاً ربما لم تستطع أن تؤدي المعنى الحقيقي في (ضيزى)، فهي لم تكن معنى جائرة أو ناقصة أو ظالمة فقط، فضلاً عن هذه المعاني، هناك معنى آخر مضافاً لها لم تتمكن كل تلك المفردات (جائرة، ناقصة، ظالمة) وغيرها أن تحتويها أو تلم بها.

إن السياق الذي وردت فيه (ضيزى) يوضح ذلك، ففي قوله تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى)، نجد معنى البخس والسخرية معنى مضافاً لتلك المعاني، إذ إن من عادة العرب أن يئدوا بناتهم خوفاً من العار، فالبنت عندهم مجلبة للشؤم والبؤس والعار، فعندما تلد مولوداً أنثى يحزن لها والدها فيقوم بوأدها، أي دفنها وهي حية، بل كان الرجل يواري وجهه عن قومه حياءً.

لما كانت البنت بهذه المنزلة من الخسة والعار عندهم قبل الإسلام، عمدوا إلى أن يجعلوها بنتاً لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وخصوا أنفسهم بما هو أغلى وأفضل لديهم وهم الأولاد الذكور.

إذاً جعلوا ما هو خسيس لغيرهم استهجاناً به وسخرية، فضلاً عن كون هذه القسمة جائرة وظالمة، فهي قسمة فيها استهجان واستخفاف، وهذا المعنى المضاف لا تستطيع الألفاظ الأخرى أن تلم به أو تحتويه، فالجور يصطحبه عنف وظلم، والظلم فيه إجحاف وبخس لحقوق الآخرين، والنقصان سلب للحق، وهكذا.

بيد أن المراد من سياق هاتين الآيتين وما سبقهما مقابل دلالي يحوي كل هذه الدلالات من بخس الحق ونقصه أو منعه، وجور القسمة، فضلاً عن الاستهجان والاستخفاف والسخرية، فجاءت لفظة (ضيزى) معبرة عن كل هذه الدلالات، أي أن السياق الحاكم في الآية جاء باللفظة المناسبة، فقابل أغرب المعاني بأغرب الألفاظ، قال الرافعي: (فكانت غرابة اللفظ أشد ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى)[٢٤]، إذ كان للصوت المكون من كل حرف من حروفها هو الآخر له أثر في إيضاح المعنى وبيانه، فقد إئتلفت مع بعضها لتكون حالة صوتية غريبة اتسقت مع ما سبقها لإظهار الدلالة، قال الرافعي: (هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل، والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غنتين في (إذن) و(قسمة...، وأحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية)[٢٥].

فالانحدار من المد الثقيل إلى المد الخفيف فيه ما فيه من العسر والشدة ليدل على الجور، ومما يزيد اللفظة غرابة أن فيها صوت (الضاد) وهو من الأصوات الغريبة والصعبة في النطق، يقول براجستراسر: (من الحروف المطبقة كالضاد، وأنها من ذوات الدوي، فالضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية)[٢٦]، إذ لم يكن هناك من الحروف ما يعسر على اللسان مثله[٢٧]، فجيء به ليتوافق مع ما على القسمة من الجور والشدة فضلاً عن السخرية والاستهجان.

إذن توافق مجيء (ضيزى) الغريبة مع غرابة المعاني المطلوبة لتكون مقابلاً دلالياً لها من حيث الصوت والمعنى ليشكلا الدلالة المبتغاة فيها، فتمكنت في موقعها إنما تمكن خلافاً لغيرها.

٣- الفريدة (حرض) في قوله تعالى: (قَالُواْ تَاللّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)[٢٨].

توزعت معاني (الحَرَض) بين الهالك مرضاً أو الذي أذابه العشق والحزن وغيرها من المعاني، قال ابن منظور: (المحرض الهالك مرضاً الذي لا حي فيرجى ولا ميت فيؤس منه... والحارض إذا فسد بدنه واشفي على الهلاك... والحارض الفاسد في جسمه وعقله... والحرض الذي أذابه الحزن والعشق)[٢٩]، وقال زيد الشهيد ابن علي عليه السلام: (الحرض: البالي والفاني)[٣٠]، وذكر الراغب الاصفهاني: (الحرض ما لا يعتد به ولا خير فيه)[٣١].

ولم يختلف المفسرون في دلالة (حرض) عن اللغويين بشيء، إذ توزعوا في دلالتها بين المشفي على الهلاك أو الذي أذابه الحزن والعشق[٣٢]، غير أنهم كانوا أكثر قرباً في دلالتها من اللغويين الذين ذهبوا بعيداً، اعتماداً منهم على الواقع اللغوي الذي يستقون منه دلالة المعاني في حين أن المفسرين ينظرون إلى السياق الذي وردت فيه اللفظة، فيختارون المعنى الأليق بها والأكثر ملائمة لإظهار الدلالة المتوخاة في عموم النص.

نجد أن كلا المعنيين الواردين لدى المفسرين يعبران عن حالة النبي يعقوب عليه السلام وأبنائه، فقد كان يحب ولده يوسف عليه السلام غاية الحب، حتى حسده أخوته في ذلك، لقوله تعالى: (إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)[٣٣]، وكان من نتيجة هذا الحب أن ازداد حزنه وبكاؤه حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو سقيم، فشارف على الموت، ولو كان معنى الحرض الهلاك لما جاء قوله تعالى (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) إذ فرق سبحانه بين المشرف على الهلاك وهو الحرض وبين الهالك الميت.

ثم أنه تعالى استعمل المفردة الفريدة (حرضاً) بدلاً من (مريضاً) التي لها المعنى ذاته وذلك لملائمتها السياق العام وتمكنها من الدلالة في موضعها الذي وردت فيه ومناسبة للحالة الاجتماعية التي كان يعيشها النبي يعقوب عليه السلام وأبناؤه في البادية، قال تعالى: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ)[٣٤]، فهي من ألفاظ البداوة التي تتسم بالشدة إذ جاء فيها صوت (الضاد) وهو من الأصوات الشديدة والقاسية المطبقة، إذا نطق بها رفع مؤخر اللسان إلى الأعلى، لذا استمت بالفخامة، وكان لها رنة قوية في الأذن مما يلائم طباع البدو وخشونتهم، إذاً لا غرابة ولا عجب أن تشيع مثل هذه الأصوات في لهجات البدو وأن تأخذ بالقلة من ألسنة المتحضرين، إذ نجد أن من قبائل البدو تقلب السين صاداً[٣٥] للسبب ذاته.

لذلك نجد (حرضاً) هنا قد جاءت في موقعها المحاكي لطبيعة حياة أخوة يوسف عليه السلام البدوية، ومناسبة للغرض الذي يتوخاه السياق في الآية الكريمة.

من مجمل ما تقدم نجد أن فرائد القرآن الكريم مفردات جاءت منتظمة في سلك درر القرآن كالجوهرة المضيئة في سلك الدرر الصغيرة، فصيحة جزلة غريبة في دلالتها جامعة في معانيها، متمكنة في

موضع ورودها، ولم تتخلف عن سياقها، ولا يمكن أن تحل محلها لفظة أخرى ولا تؤدي معناها، فهي معبرة عن دلالتها بأصالتها وعربيتها وجزالتها وفصاحتها ■

(١) البرهان في إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، ص٣٦٨، ظ: معترك الأقران، السيوطي، ٣٠٩/١، أنوار الربيع لابن معصوم، ٢٦٧/٥.
(٢) ظ: نفس المصدر.
(٣) سورة يوسف/٥١.
(٤) سورة البقرة/١٨٧.
(٥) سورة سبأ/٢٣.
(٦) سورة فاخر/١٩.
(٧) البرهان في إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، ص٣٦٩-٣٧٠، ظ: أنوار الربيع لابن معصوم، ٢٦٧/٥.
(٨) إعجاز القرآن، الرافعي، ص٧١.
(٩) سورة ص/١٦.
(١٠) لسان العرب، ابن منظور، ص٢١٧/١١، قططط.
(١١) العين، الفراهيدي، ١٤٩٣/٣، قط، ظ: غريب القرآن، زيد الشهيد، ص٣٤٦.
(١٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١٧٩/٢.
(١٣) وضح القرآن، النيسابوري، ٢٤٤/٢.
(١٤) ظ: مقاييس اللغة، ابن فارس، ص٨٢٧، قط، أساس البلاغة، الزمخشري، ص٥١٣، قططط.
(١٥) المفردات، الراغب الاصفهاني، ص٦٧٦، قط.
(١٦) لسان العرب، ابن منظور، ٤١٧/٢، جوز.
(١٧) نفس المصدر، ٣٧٩/٧، صكك.
(١٨) سورة النجم/٢٢.
(١٩) مقاييس اللغة، ابن فارس، ص٥٨٢، ضيز، ظ: أساس البلاغة، الزمخشري، ص٣٨١، ضيز.
(٢٠) ظ: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٥١٣، ضيز.
(٢١) ظ: غريب القرآن، زيد الشهيد، ص٣٩٤.
(٢٢) ظ: مجاز العراق، أبو عبيدة، ١٣٧/٢.
(٢٣) وضح البرهان، النيسابوري، ٣٤٥/٢.
(٢٤) إعجاز القرآن، الرافعي، ص٢٣٠.
(٢٥) نفس المصدر: ص٢٣١.
(٢٦) التطور النحوي، براجستراسر، ص١٨.
(٢٧) ظ: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص٤٩.
(٢٨) سورة يوسف/٨٥.
(٢٩) لسان العرب، ابن منظور، ١٢٦/٣.
(٣٠) غريب القرآن، زيد الشهيد، ص٢٢٥.
(٣١) مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٢٢٨، حرض.
(٣٢) ظ: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٣١٦/١-٣١٧، إعراب القرآن، النحاس، ص٤٦١، الكشاف، الزمخشري، ٤٧٠/٢، مجمع البيان، الطبرسي، ٢٥٦/٣.
(٣٣) سورة يوسف/٨.
(٣٤) سورة يوسف/١٠٠.
(٣٥) ظ: فقه اللغة العربية، د. كاصد الزيدي، ص٤٥٠-٤٥١.

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

مولده: ١٠ رجب ١٩٥ هـ

روى الطبرسي في الاحتجاج / ج٢:

«... أن المأمون بعدما زوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر عليه السلام كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن الأكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن الأكثم: ما تقول يا ابن رسول الله في ا لخبر الذي روي: أنه نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد! إن الله عز وجل يُقرئك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّي راض فإني عنه راض.

فقال أبو جعفر عليه السلام: لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾. فالله عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى يسأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن الأكثم: وقد روي: أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء.

فقال عليه السلام: وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه، لأن جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك. فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله فمحال أن يشبّههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضاً: أنهما سيدا كهول أهل الجنة. فما تقول فيه؟

فقال عليه السلام: وهذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبّاناً ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو أُمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما سيدا شباب

أهل الجنة.

فقال يحيى بن الأكثم: وروي إن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

فقال عليه السلام: وهذا أيضا محال، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ومحمد صلى الله عليه وآله، وجميع الأنبياء والمرسلين. لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!.

فقال يحيى بن الأكثم: وقد روي: أن السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السلام: لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر فقال ـ على رأس المنبر ـ: «إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدّدوني».

فقال يحيى: قد روي إن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم أُبعث لبُعث عمر.

فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ**﴾، فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكان الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين؟ فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟! وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نبّئت وآدم بين الروح والجسد».

فقال يحيى بن الأكثم: وقد روي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما احتبس عنّي الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب».

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي صلى الله عليه وآله في نبوّته، قال الله تعالى: ﴿**اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾ فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!.

قال يحيى: روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلاّ عمر.

فقال عليه السلام: وهذا محال أيضاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾، فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وما داموا يستغفرون الله».

وفي هذا النص شواهد كافية لمدى التحريف الذي سيطر على مجال الحديث والبدع التي أُدخلت على السنّة النبوية الشريفة في عصر الخلافة الأموية والعباسية، ومدى نفوذها إلى واقع الأمة بالرغم من كونها تخالف النصوص الصريحة للقرآن الكريم. وهذا كاشف عن مدى هبوط مستوى الوعي والثقافة العامة عند علماء البلاط فضلاً عن عامة أتباعهم.

وهذا الحوار يكشف لنا عن مدى شجاعة الإمام عليه السلام وقوّة منطقه، ودوره الكبير في تصحيح هذه الانحرافات الخطيرة التي تشوّه حقائق الدين من أجل تصحيح أخطاء شخصيات استغلّت شرف الصحبة والصحابة، وقبع الحكام المنحرفون تحت هذه الأقنعة التي نسجت منهم شخصيات وهميّة على مدى التاريخ في أذهان عوامّ علماء المسلمين فضلاً عن أتباعهم ■

ترجمة القرآن الكريم

بين التأييد والمعارضة!!

د. عبد علي حسن الجاسمي •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

أُنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وفيه من الألفاظ ما تعجز اللغات الأخرى عن الإحاطة بمعانيها بدقة ، لذلك من الخطأ القول: إن هناك ترجمات للقرآن الكريم بلغات أخرى. وسنستخدم عبارة ترجمة معاني القرآن الكريم كما يفهمها المترجم وليس كما أرادها الله في كتابه الكريم. لأننا مسلّمون بأن بلوغ المرامي التي حملتها مفردات القرآن الكريم وتراكيبه وأساليبه قد أعجزت كل من قرأ القرآن من العرب منذ نزول القرآن الكريم الذي اكتسح الدهور والأزمان من دون أن يتسرب إليه ما يجعله تحت دائرة الإمكان، وهو مستمر بقوته وحضوره وإعجازه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فكيف بنا إذا كان المطلوب منه الوصول إلى ضمير الأجنبي بالصورة التي وصلت إلى العربي فجعلته مبهورا مأخوذا بنظمه وأسلوبه؟

من المشاكل الخطيرة التي جابهت القرآن الكريم في طول الفترة العريضة أن يترجم إلى اللغات الأجنبية، فإذا صح ما روى من أن بعض آي القرآن قرئ بالفارسية في بخارى وسمرقند بحجة تقريب معانيه إلى أفهام الأعاجم، وذلك في صدر الإسلام فانه ضاق بذلك - إبان القرن السادس الهجري - حين صرح جار الله الزمخشري في كشافه باستحالة ترجمة القرآن الكريم: (لأنّ في

كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها)[1].

أما عند المعاصرين ففي الربع الأول من القرن العشرين جوز الأستاذ محمد فريد وجدي ترجمة معاني القرآن، وقد اندلعت ـ بسبب ذلك ـ خصومة عنيفة بينه وبين الشيخ محمد رشيد رضا صاحب (المنار). إذ لم يكد المرحوم وجدي ينشر (الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن) حتى انبرى له الشيخ رضا ناشرا رأيه المعاكس في ذلك[2]. ومنذ سنة ١٩٣٦ فكرت مصر في تعريف الأجانب على القرآن من طريق الترجمة، واتخذت الأهبة لذلك، ففي السابع من نيسان تلك السنة أفتت جماعة (كبار العلماء) بما سمي بترجمة معاني القرآن، وفي الأسبوع الثاني وافق مجلس النواب المصري على مشروع تلك الترجمة، وفي تشرين الثاني ١٩٣٦ قرر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر يومذاك تأليف لجنة لوضع التفسير الذي سيضيء الطريق أمام معاني القرآن عند ترجمتها إلى اللغات الأجنبية، وقد خططت اللجنة العمل وبدأته فعلا .. ثم ثار خلاف على ذلك حين أصدر الشيخ محمد سليمان عنارة، نائب المحكمة الشرعية العليا في القاهرة، كتابه: (حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن) فرقد المشروع، حتى يوم الناس هذا..

ويبدو أن دعوة الزمخشري لها من المناصرين ما هم خارج دائرة الدارسين العرب، فهذا جان سافاجيه (J.Sauvaget) يؤكد أن ليس للقرآن ترجمة مرضية في أية لغة أوربية[3]، وكذا كَب (H. A. R. Gibb) الذي يرى أن من المستحيل أن

يترجم القرآن بأمانة[٤]، ومثله آربري (A. J. Arberry) الذي سلّم في تواضع بتلك الفكرة الإسلامية القائلة بأن القرآن غير قابل للترجمة.

أما في العراق فلم تكن هناك دعوات لها شأن في هذا الموضوع، إلا ما كان من بحث تحت عنوان: (نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم) لعزيز عارف[٥]. أكد في بدايته اتفاق علماء المسلمين من القدماء والمحدثين على أن ترجمة القرآن الكريم ترجمة لفظية ضرب من المحال ولكنهم اختلفوا في جوازها وعدم جوازها. ثم استعرض آراءهم إزاء هذا الاختلاف. وبعد ذلك ذهب إلى مثال تطبيقي على تسرب خلل كبير في ترجمة القرآن الكريم من خلال عرضه كتاب انكليزي عنوانه: (القرآن ترجمة وملاحظات) لمؤلفه ن. جي. داود .. N. J. Dawood. by: (The Koran- translated with notes) فقد وجد هذا الباحث أن هذا الكتاب كان بعيداً كل البعد عن ترجمة القرآن ومعانيه، وتفسيره، مع وجود حذف وإضافة، وتقديم وتأخير، وتحويل المفرد إلى جمع، والجمع إلى مفرد وتبديل المعرفة نكرة وبالعكس... وسواها من الأوهام والأغاليط، ولتوضيح ذلك لجأ إلى المقارنة بين الكتاب المعروض للنقد وترجمة مولانا محمد علي بالانكليزية، وترجمة بلاشير بالفرنسية. مع استئناسه بكتب معاني القرآن أحياناً. ومن النماذج التي أوردها للتطبيق، قوله تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[٦] فقد جاء في ترجمة داود النص الآتي:

Those who surrender themselves to Allah and accept the true faith، who are devout، sincere، patient، humble، charitable and are chaste، who fast and ever mindful of Allah – on these، both men and women، Allah will bestow forgiveness and a rich reword.

ثم أورد نقده للترجمة مبينا المراد من الآية الكريمة بعرضه أقوال الفرّاء في (معاني القرآن)، والقرطبي في (الجامع لأحكام القرآن)، وخلص منهما إلى أن هذه الآية جاءت للتأكيد على (دور المرأة في المجتمع الإسلامي وأن شأنها فيه شأن الرجل ومكانته، ذلك هو المعنى الذي سعت إليه الآية الكريمة. أما ترجمة داود فما أبعدها عن هذا المعنى! لقد تصرفت بالنص فخرجت على قواعد الترجمة وتجاوزت أصول اللغة وأخلت بمعنى الآية الكريمة. وثمّ من أدرك هذا المعنى من مترجمي القرآن ووعاه وأخذ به كما سنرى)[٧]. بعد ذلك أورد نص مولانا محمد علي بالانكليزية:

Surely the men who submit and the women who submit، and the believing men and the believing women، and the obeying men and obeying women، and the truthful men and the truthful women، and the patient men and the patient

women، and the humble men and the humble women، and the almsgiving men، and the almsgiving women، and the fasting men and the fasting women، and the men who guard their private parts and the women who guard، and the men who remember – Allah much and the women who remember – Allah has prepared for them forgiveness and a mighty reward.

ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية على ترجمة داوُد:

١ـ إنها تلخيص لمعنى وليست ترجمة، وهـذا واضح بالمقارنة بيـن الآية الكريمة وترجمتها بقوله: أولئك الذين استسـلموا للّه، وقبلوا الإيمان، الذين هم: الورعون، المخلصـون، الصابـرون، متواضعـون، الخيرون، العفيفون، الذين هم بعقل ممتلئ وبسـرعة للّه[٨]، على هـذه الصفات، من الرجال والنساء، فإن اللّه سوف يقدم لهم مغفرة وجائزة أو هدية غنية أو [دسمة]!.

٢ ـ لم يكن المترجـم دقيقا في اختيار الكلمات المتناسبة مع النص القرآني، فقد أعـرض عن اسـتعمال كلمـة (Muslims) واستعمل ((Surrender التي تعني الخضوع والاستسـلام الذي يمكن أن يكون خضوع بقـوة معينة وإجبـار معين، خـارج نطاق الإيمان والاقتناع.

٣ ـ لا يوجـد فـي الترجمـة الانكليزية مـا يدل علـى كلمة (الورعـون) في النص القرآنـي، وهناك معنى واضح محدد لهذه المفردة.

٤ ـ فـي ترجمتـه (المؤمنـون) ترجم

(accept the true faith) أي: قبلوا الإيمان الحقيقي. وفي الانكليزية يستعملون (believers) للدلالة على كلمة (المؤمنون) أو (believing men) إذا كانت للرجال، و(believing women) للنساء.

٥ ـ استعمل كلمة (devout) أي: ورع، للدلالة على كلمة (القانتين).

٦ ـ استعمل كلمة (sincere) وهي في الانكليزية تعني: مخلص، استعملها للدلالة على كلمة (الصادق) وهي في الانكليزية: (truthful).

٧ ـ استعمل كلمة (charitable) أي: الخيرون بدلا من كلمة (المتصدقون) التي يقابلها بالإنكليزية: (almsgiving) التي يضاف إليها (man) للمتصدقين من الرجال، و(women) للمتصدقات من النساء.

٨ ـ إن تعبير (الحافظين فروجهم) يقابله في الانكليزية (who guard their private parts)، في حين استعمل المترجم (chaste) وهي تعني: العفيفون.

٩ ـ استعمل مفردة (bestow) وهي وحيدة بل من غريب الانكليزية؛ للدلالة على كلمة (أعد) في العربية، التي يقابلها: (prepared) في الإنكليزية.

١٠ـ استعمل(a rich reword) للدلالة على الأجر العظيم، وهي تعني:جائزة غنية أو دسمة.في حين كان بإمكانه استعمال: (a might reword) لقربها من دلالة الأجر العظيم.

١١ـ لم يتطرق لمفردة (صوم) أو (صيام) وهي في الانكليزية: (fasting).

وفي شأن صعوبة ترجمة القرآن يقول الدكتور غانم قدوري حمد: (...وتبلغ صعوبة الترجمة مداها في ميدان ترجمة القرآن لان نص القرآن صيغ باللسان العربي صياغة خاصة، وصار نظم القرآن العربي من وجوه إعجازه، إن لم يكن من أهمها على الإطلاق. وأي إنسان، مهما بلغ علمه، يمكنه أن يعيد صياغة آيات القرآن الكريم بلغة أخرى، ثم يحافظ على معاني القرآن الظاهرة، وما يمكن أن يستشفه المتأملون فيه من معانٍ أخرى ويحافظ على روعة الأسلوب وإعجازه؟!. إن ترجمة القرآن ترجمة وافية كاملة غير متيسرة من جانبيه الأسلوبي والمعنوي)[٩] ■

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري / تحقيق : عبد الرزاق المهدي/ دار إحياء التراث العربي / بيروت:٤ ٢٨.

(٢) ظ: مجلة الأقلام /ج٢/ السنة الثانية / جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ/ تشرين الأول ١٩٦٥م: ١٥٠.

(٣) رائد التراث العربي، ترجمة الدكتور صلاح الدين المنجد / بيروت /١٩٤٧ /:٨٤ / وينظر: مجلة الأقلام ج٢/ السنة الثانية / جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ ـ تشرين الأول ١٩٦٥م: ١٥٠.

(٤) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة عن الفرنسية كامل سليمان/ بيروت ١٩٥٤)/ الصفحات:٢٩ ـ٣٢، وينظر: مجلة الأقلام /ج٢/ السنة الثانية / جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ ـ تشرين الأول ١٩٦٥م: ١٥٠.

(٥) مجلة المورد/العدد الخاص بالدراسات القرآنية/مج١٧ / ٤ /١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م/ الصفحات:١١٥- ١٢٤.

(٦) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٧) نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم، عزيز عارف: ١١٨.

(٨) كأنه يريد أن يقول: يذكرون الله بملء الفم ومن دون انقطاع، ولكن يبدو أن التعبير خانه.

(٩) علوم القرآن الكريم، د. غانم قدوري حمد / مطابع دار الحكمة / بغداد / ١٩٩٠: ٢٠٧.

نوادر وعبر

الملك والشاعر..

ذهب رجل إلى الملك وأنشده شعراً، فقال الملك: أحسنت. اطلب ما تشاء.

قال: هل تعطيني؟. قال الملك: أجل.

قال: أريد أن تعطيني دنانير بمقدار الرقم الذي أذكره في الآيات القرآنية. قال: لك ذلك.

قال الشاعر: قال الله تعالى : ﴿إِلَٰهُكُم إِلَٰهٌ واحِدٌ﴾ . فأعطاه ديناراً.

قال: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾. فأعطاه دينارين.

قال: ﴿لَقَد كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إنّ اللهَ ثالث ثَلاثة﴾. فأعطاه ثلاثة دنانير.

قال: ﴿قالَ فَخُذ أربَعة مِنَ الطيرِ فَصِرهُنّ إِلَيكَ﴾. فأعطاه أربعة.

قال: ﴿وَلا خَمسَة إلّا هوَ سادِسُهُم﴾. فأعطاه خمسة دنانير وستة دنانير أخرى.

قال: ﴿اللهُ الذي خَلَقَ سَبعَ سَموات﴾. فأعطاه سبعة.

قال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾. فأعطاه ثمانية.

قال: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾. فأعطاه تسعة.

قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾. فأعطاه عشرة دنانير.

قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾. فأعطاه أحد عشر.

قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ﴾. فأعطاه اثنا عشر.

ثم قال الملك: أعطوه ضعف ما جمع واطردوه .

قال الشاعر: لماذا يا مولاي؟.

قال الملك: أخاف أن تقول: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

منهج أهل البيت عليهم السلام في حفظ السنة الشريفة

علي عبد الزهرة الفحام •

للحديث الشريف مكانة خاصة عند أهل البيت عليهم السلام باعتباره النص التشريعي الذي تقوم عليه المؤسسة الدينية الإسلامية، فهو المعتمد في تلقي تفاصيل الأحكام التشريعية بجميع أبعادها العملية والعقدية، وهو المبين للقرآن الكريم والمفسر لآياته الشريفة يفصل بين عامه وخاصه ومطلقه ومقيده ويبين المحكم من المتشابه، فهو الضامن لمنع تسرب البدع ومحدثات الأمور إلى الحالة الإسلامية أفراداً وجماعات.

ينابيع

لقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهم أمناء الله على حلاله وحرامه، جهوداً كبيرة في حفظ السنة الشريفة وروايتها ودرايتها جيلاً بعد جيل، وحرصوا على تنقيتها مما أصابها من التحريف والتشويه والتردي في أحضان البلاطات الحاكمة عندما أضحت السياسة هي المحرك للنص والمتحكم به بدلاً من الرواية الصحيحة والنقل الصادق، كما وقف أهل البيت عليهم السلام بوجه الأحاديث الموضوعة التي أنتجتها الانحرافات العقائدية المنبثقة من رحم المؤسسة

السياسية، مستغلة ضعف الحصانة الفكرية للمجتمع وسقوط المؤسسة الدينية الرسمية في وحل السياسة ودهاليزها.

لقد نال التراث الحديثي للشيعة قسطاً وافراً من الإرهاب الفكري والسياسي الذي مارسته الأنظمة الجائرة ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فكان رواة الشيعة يتناقلون الحديث وسط أجواء من التقية المركزة والحذر الشديد من عيون السلطة وجواسيسها، وربما ألجأتهم التقية إلى ترك التحديث والاكتفاء بتناقل الكتب سراً، فقد روى الشيخ الكليني (ت٣٢٨) في كتابه الكافي عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شَينولة قال: قلتُ لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم تروَ عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال: (حدثوا بها فإنها حق) (الكافي: ٥٣/١)، ولعل كثيراً من تلك الكتب التي عبثت بها بوائق الدهر تلفت أما بيد السلطة بسبب المصادرة أو بيد أصحابها خوفاً من المصادرة وعواقبها! فقد حدثنا التاريخ أن المحدثة الشيعية (سعيدة بنت

أبي عمير) شقيقة الثقة الجليل محمد بن أبي عمير (ت٢١٧) دفنت كتب أخيها سراً حتى أصابها التلف إثر أعتقال أخيها لأربع سنوات من قبل السلطات العباسية الغاشمة بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام، فكان محمد بعد خروجه من السجن يحدث مما بقي في ذاكرته من أحاديث ويرسلها دون إسناد، وقد اشتهر بين المحدثين الاعتماد على تلك المراسيل (رجال النجاشي: ٣٢٦).

إن من حق الشيعة اليوم أن يفتخروا بأئمتهم وبسلفهم الصالح من الرواة ممن حملوا على عاتقهم نقل الأمانة كابراً عن كابر حتى أوصلوا لنا هذا التراث الضخم من الكتب والأصول والمصنفات الحديثية وسط تلك الموجة الهوجاء من الإرهاب السياسي والفكري الذي مارستها السلطات الحاكمة ومؤسساتها الدينية بحق رواة ومحدثي الشيعة، وبالدرجة الأولى بحق الأئمة عليهم السلام الذين تعرضوا لحملة اغتيالات منهجية منظمة وهم في زهرة شبابهم مما اضطر إمامنا الثاني عشر للغيبة خوفاً من إن تناله يد الغدر التي نالت آباءه من قبل.

إن الذي يدقق في المنهجية التي اتبعها أهل البيت عليهم السلام في حفظ السنة الشريفة والإبقاء على تلك الثلة القليلة من الأصحاب المخلصين ليجد بعين الحق والحقيقة أنها لم تكن لتنجح لولا التأييد والعلم الذي منَّ به الله تعالى على الأئمة عليهم السلام، ولولا صبر وثبات المخلصين من أصحاب الأئمة الذين نفذوا تلك الإستراتيجية بدقة متناهية رغم صعوبتها وشدتها بحيث لا يتحملها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ويمكن تلخيص المنهجية التي اتبعها أهل البيت عليهم السلام في حفظ السنة الشريفة بالنقاط التالية:

أولاً: الحث على رواية الحديث ونشره

١ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: (تزاوروا وتذاكروا الحديث، أن لا تفعلوا يدرس). (مستدرك الوسائل: ٢٨٨/١٧).

٢ـ عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال: الإنصات، قال: ثم مه؟ قال: الاستماع، قال: ثم مه؟ قال: الحفظ، قال: ثم مه؟ قال: العمل به، قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نشره. (الكافي: ٤٨/١).

٣ـ عن الفضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا فضيل إن حديثنا يحيي القلوب. (خصال الصدوق: ٢٢).

٤ـ عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سارعوا في طلب العلم، فوالذي نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير

من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة. (المحاسن: ٢٢٧/١).

٥- عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً ولم يعذبه. (أمالي الصدوق: ٣٨٢).

٦- عن معاوية ابن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابدا من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل؟ قال: الرواية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد. (الكافي: ٣٣/١).

٧- عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا قلت: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس. (معاني الأخبار، وسائل الشيعة).

وعلى هذا فليس عجباً أن يبلغ تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الآلاف من الرواة (أحصى الشيخ عبد الحسين الشبستري في كتابه (الفائق في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام) زهاء ٣٧٥٩ راوياً عن الإمام الصادق عليه السلام وترجم لهم في كتابه القيم) الذين أخذوا العلم عنه في المدينة والكوفة ونشروه في مختلف أصقاع المعمورة، وتحملوا في سبيل ذلك مختلف أصناف الطعن والتوهين وربما الاعتقال والقتل والتشريد، يروي النجاشي في رجاله عن أحمد بن محمد بن عيسى قال: خرجتُ إلى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن علي الوشّاء فسألتُه أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلاء وأبان بن عثمان الأحمر فأخرجهما إلي فقلت له: أحب أن تجيزهما لي فقال لي: يا رحمك الله وما عجلتك اذهب فاكتبهما واسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدثان، فقال: (لو علمتُ أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه فاني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد) (رجال النجاشي: ٤٠-٤١)، فإذا كان (الحسن بن علي الوشّاء) لوحده قد سمع (٩٠٠) شيخ من شيوخ الرواية يحدثون عن الإمام الصادق عليه السلام في مسجد الكوفة وحده، فما بالك بالآخرين في بلاد الشيعة المنتشرة الأصقاع والمترامية الأطراف؟! بينما نجد في المدرسة الأخرى أن الحافظ الذهبي (ت٧٤٨) يذكر أقصى إحصائية حصل عليها في عدد الرواة عن مالك بن أنس (ت١٧٩) في كتابه سير أعلام النبلاء (٢٣٤/٧) قائلاً: (ما علمتُ أحداً من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مالك، وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفا وأربع مئة) فهم بالمجاهيل والكذابين ١٤٠٠ في مختلف البلاد!! رغم كل ما وفرته السلطة العباسية لمالك من دعم إعلامي وسياسي ومادي حتى أن تأليف كتابه (الموطأ) كان بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور الذي انتهج سياسة تعميم الفقه المالكي في البلاد الإسلامية وحمل الناس قسراً على ما يرويه من حديث وما يراه من رأي، فقد روى مالك أن المنصور قال له: (لأكتبنَّ قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق، فلأحملنهم عليه) (سير أعلام النبلاء: ٦١/٨-٦٢).

ثانياً: الحث على كتابة الحديث وتدوينه

لا يكون المرء مبالغاً لو قال أن القدماء من رواة الشيعة هم الرواد الأوائل في

عملية تدوين الحديث وحفظه عن طريق الكتابة عملاً بتوجيهات مباشرة وإشراف مستمر من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام ابتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله الذي أسس لعملية التدوين مروراً بأمير المؤمنين ومن تلاه من الأئمة عليهم السلام.

وليس سراً أن السلطة الحاكمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قد منعت تدوين الحديث (وحتى روايته) بحجج واهية، وأعذار سقيمة، اخترعوها لتمييع الحركة الروائية للمجتمع الإسلامي حتى تتمكن السلطة من فرض نظرياتها الفقهية والعقدية وفق أهواء الحاكم ونزعته النفسية، فكان لا بد من تحييد المنهج الروائي الذي يشكل عائقاً كبيراً أمام تسرب البدع وأفكار الضلالة، ولم تنتبه السلطة السياسية الحاكمة إلى خطورة هذا المنهج إلا بعد ما مضى قرن من الزمان حين قرر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت١٠١) الإيعاز إلى والي المدينة البدء بكتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله تحت إشراف ورقابة من السلطة حتى لا تهدد عملية التدوين شرعية الحاكم بما تنشره من حقائق تنقض الأصل الشرعي للحكومة القائمة. (أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية: ٢٦٠).

والنماذج التالية تسلط الضوء أبرز ما وصل إلينا من مظاهر التدوين التي مارسها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم:

ـ كتاب علي عليه السلام

وهو بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط أمير المؤمنين عليه السلام، ويبدو من وصف الروايات أنه كان موسوعة حديثية متكاملة في مختلف المعارف وأنه من الأهمية بمكان بحيث كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يتوارثونه ويقرؤون منه للناس، واتفقت الروايات أن الكتاب كان بطول سبعين ذراعاً (بصائر الدرجات: ١٦٧)، يروي النجاشي عن عذافر الصيرفي قال: (كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر عليه السلام فاختلفا في شئ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا بني قم! فأخرج كتاب علي، فأخرج كتابا مدروجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة. فقاله أبو جعفر عليه السلام: هذا خط علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله. وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد! اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل عليه السلام). (رجال النجاشي: ٣٦٠).

وهذه ثلة من أحاديث ذلك الكتاب الجليل برواية أهل البيت عليهم السلام:

١ـ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة. (المحاسن: ١٠٧/١).

٢ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قرأت في كتاب علي عليه السلام إن الله لم يأخذ على

الجهـال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلمـاء عهـداً ببذل العلـم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل. (الكافي: ٤١/١).

٣ـ عـن أبي عبـد اللّه عليه السلام قال: إن في كتاب علي (صلـوات اللّه عليه): إنما مثل الدنيـا كمثل الحيـة ما ألين مسـها وفي جوفهـا السـم الناقع، يحذرهـا الرجل العاقـل، ويهـوى إليها الصبـي الجاهل. (الكافي: ١٣٦/٢).

٤ـ عـن أبي عبـد اللّه عليه السلام قال: إن في كتـاب علـي عليه السلام أن الهر سـبُعٌ فلا بأس بسـؤره وإني لأسـتحيي من اللّه أن أدع طعاماً لان هراً أكل منه. (الكافي: ٩/٣).

٥ـ عن علي بن الحسـين عليهما السلام أنه سئل عـن رجل أوصى بشـيء من مالـه فقال: (الشـيء) في كتـاب علـي عليه السلام واحد من ستة. (الكافي: ٤٠/٧).

٦ـ عـن علـي بـن جعفـر عـن أبيه الصادق عليه السلام قال: سألته عن الجري، يحل أكله؟ قال: (إنا وجدنا في كتاب علي أمير المؤمنيـن عليه السلام: حرام). (مسـائل علي بن جعفر).

ـ كتاب أبي رافع

مولى رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وصاحب أمير المؤمنين عليه السلام، له كتاب السـنن والأحكام والقضايا يرويـه عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لابنـه علـي كتاب آخر فـي أبواب مختلفة من الفقه.

ـ كتـاب سـليم بـن قيـس الهلالي (توفي بعد ٧٢)

وهـو كتـاب مشـهور اهتـم بروايته أصحاب الأئمة في طبقات مختلفة.

ـ مصنفات الأصبغ بن نباتة (توفي بعد ١٠٠ هـ)

من خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام،

له مصنفات عديدة، بعضها بإملاء مباشر من أمير المؤمنين عليه السلام (راجع: مجلة ينابيع: العدد ٣٥، ٣٦ ، ص٨٣).

وعلى هذا فتدوين الحديث عند الشيعة بدأ في بواكير القرن الأول الهجري تحت إشراف مباشر من أمير المؤمنين عليه السلام، وقد اتخذت وتيرة التدوين في عهد الصادقَين عليهما السلام منحى متصاعداً وصار سمة بارزة من سمات الشيعة إبان تلك الحقبة، والروايات التالية تلقي بعض الضوء على جهود أهل البيت عليهم السلام في حث أصحابهم وشيعتهم على الكتابة وحفظ الحديث:

١ـ عن حسين الأحمسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: القلب يتكل على الكتابة. (الكافي: ٥٢/١).

٢ـ عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا. (الكاف: ٥٢/١).

٣ـ عن عبيد بن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها. (الكافي: ٥٢/١).

٤ـ عن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم. (الكاف: ٥٢/١).

٥ـ عن علي ابن أسباط، عن الرضا عليه السلام في حديث الكنز الذي قال الله عز وجل: (وكان تحته كنز لهما)، قال: قلت له: جعلت فداك، أريد أن أكتبه قال: فضرب يده والله إلى الدواة ليضعها بين يدي، فتناولت يده فقبلتها وأخذت الدواة فكتبته. (الوسائل: ٨٣/٢٧).

٦ـ وفي مهج الدعوات للسيد ابن طاووس عن أبي الوضاح عن أبيه قال: كان جماعة من خاصة أبي الحسن الكاظم عليه السلام من أهل بيعته وشيعته، يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة أو أفتى في نازلة، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك. (مستدرك الوسائل: ٢٩٢/١٧).

ثالثاً: تصحيح الكتب الحديثية وتوثيقها

وكان من الجهود البارزة للأئمة عليهم السلام تتبع الكتب المتداولة بين المجاميع الشيعية والمعمول بها في مدائن مختلفة وأمصار نائية، من أجل تنقية هذه الكتب من الوضع والدس أو التخليط والأوهام، وكان لهذا الدور الأثر الكبير في صنع مجموعة ضخمة الأصول الحديثية المعتمدة لدى الطائفة عرفت بالأصول الأربعمائة، وإذا لم يكن ثمة دليل أن جميع هذه الأصول قد عرضت على الأئمة فليس من شك أن هذه الأصول كانت متداولة لدى الثقات الأجلاء من رواة الشيعة وأصحاب الأئمة وعليها عول المحدثون في جمع موسوعاتهم الحديثية كثقة الإسلام الكليني والشيخ

الصدوق وابن قولويه والمفيد والطوسي وغيرهم من الأفذاذ رحمهم الله.

ومن الأمثلة على تلك الكتب المعروضة على الأئمة عليهم السلام:

١. عن أبي هاشم الجعفري، قال: عرضت على أبي محمد العسكري عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس فقال لي: تصنيف من هذا؟ قلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكل حرف نورا يوم القيامة. (وسائل الشيعة ٢٧ /١٠٢).

٢. عن يونس بن عبد الرحمن ـ في حديث ـ قال: أتيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين فسمعت منهم واحداً واحداً، وأخذت كتبهم فعرضتها بعد على الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث. (وسائل الشيعة: ٢٧/٩٩).

٣. كتاب عبيد الله بن علي الحلبي الذي عرضه على الإمام الصادق عليه السلام، فأقر الإمام بصحته وقال: (هل لهؤلاء مثل هذا)؟ ويقصد المخالفين. (رجال النجاشي: ٢٣١).

٤ـ كتاب عبيد بن محمد البجلي الذي عرض على الباقر عليه السلام فأقره (فهرست الطوسي: ١٧٦).

٥ـ كتاب الديات لظريف بن ناصح وهو من الأصول التي أقرها الأئمة أيضاً (خاتمة المستدرك ١ /١٠٦).

رابعاً: نقد الروايات وتصحيحها

لم يأل الأئمة عليهم السلام جهداً في نقد وتصحيح الأحاديث التي كانت متداولة سواء في أدبيات المدرسة المقابلة أو حتى في الأوساط الشيعية ضمن جهودهم في تنقية السنة الشريفة من شوائب التحريف وتسييس النصوص التشريعية، وقد تلقى رواة الشيعة هذه الخصلة من أئمتهم فكانوا يمحصون ما يرد عليهم من روايات ويعرضونها على الأئمة أو يتبعون في تمحيصها القواعد التي سنها لهم أهل البيت عليهم السلام من عرض الحديث على كتاب الله إجماع السنة أو الأخذ بما خالف العامة أو تخير أحد الخبرين أو التوقف عند الشبهة وعدم التمييز، وكلها قواعد مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام الهدف منها تربية الشيعة على الطريقة المثلى للتعامل مع النص دون اللجوء لمدرسة المخالفين لاستجداء النظريات والقواعد الحديثية خصوصاً في عصر غيبة الأئمة عليهم السلام، والروايات التالية تعطي مثالاً على جهود الأئمة وشيعتهم في هذا المجال:

١ـ روى الشيخ الصدوق في التوحيد ١٥٣: عن الحسين بن خالد، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله، لقد حذفوا أول الحديث، إن رسول الله صلى الله عليه وآله مر برجلين يتسابان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال صلى الله عليه وآله: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته.

٢ـ قيل للصادق عليه السلام: إن الناس يروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة (أي قوة) سوي، فقال عليه السلام: قد قال لغني ولم يقل لذي مرة سوي. (من لا يحضره الفقيه: ١٧٧).

٣ـ عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء

الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد (الكافي: ٣٦٠/٢).

٤- عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يروون أن علياً عليه السلام كتب إلى عامله بالمدائن أن يشتري له جارية فاشتراها وبعث بها إليه وكتب إليه أن لها زوجاً فكتب إليه علي عليه السلام أن يشتري بضعها فاشتراه؟ فقال: كذبوا على علي عليه السلام، أعلي عليه السلام يقول هذا؟ !. (الكافي: ٤٨٣/٥).

٥- عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عمار الساباطي روى عنك رواية قال: وما هي؟ قلت: روى أن السنة فريضة، فقال: أين يذهب أين يذهب! ليس هكذا حدثته أنما قلت له: من صلى فأقبل على صلاته لم يحدث نفسه فيها أو لم يسه فيها أقبل الله عليه ما أقبل عليها، فربما رفع نصفها أو ربعها أو ثلثها أو خمسها وإنما أمرنا بالسنة ليكمل بها ما ذهب من المكتوبة. (الكافي: ٣٦٢/٣).

خامساً: استخدام التقية للحفاظ على رواة الشيعة

وكانت (التقية) مفردة مهمة ضمن الخطة التحصينية التي انتهجها أهل البيت عليهم السلام للحفاظ على رواة الشيعة والثقات من أصحابهم وسط موجة العداء الفكري والسياسي للدول الحاكمة وحالة التصفية الممنهجة ضد رموز الشيعة وشد الخناق على البعد الجماهيري للطائفة، الأمر الذي هدد باستئصال مفردة الشيعة وشطبها من المعادلة السياسية والعقائدية في الأمة الإسلامية لولا انتهاج الأئمة عليهم السلام هذه السياسة الحكيمة وتنفيذها بدقة من قبل الكثير من أصحابهم النجباء - رغم حصول أخطاء ارتكبها البعض وأنكرها عليهم الأئمة وحذروا من تكرارها -.

وسائل التقية

أما وسائل التقية التي سلكها الأئمة عليهم السلام فكانت كما يلي:

١- الإفتاء وفق مرويات العامة.

والهدف من ذلك إزالة التمايزات الفقهية التي تصبغ الحالة الشيعية في بعض مناطق الصراع الطائفي مما يساهم في تخفيف الأنظار الموجهة نحو الشيعة ودمج الشيعة في المجتمع السني للحفاظ عليهم من سطوة الجلاوزة، ولهذا السبب نجد عديد الروايات في الكتب الشيعية مما ينحو منحى التقية ويوافق مذهب عامة أو أبرز مذاهبهم، ولتمحيص هذه الروايات وفرزها وتنقيتها أوصى الأئمة عند اختلاف الرواية أن تعرض على (فقه العامة) فما وافق العامة يترك (لاحتمال التقية فيه) وما خالفهم يؤخذ به وبحسب تعبير الروايات (فإن الرشد في خلافهم)، عن الحسين بن السري قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم).

٢ـ إفتاء الشيعة بفتاوى مختلفة لمسألة واحدة.

والهدف كسابقه، رفع التمايز الفقهي للتستر على الشيعة وحفظهم حيثما توجهت الأنظار حولهم، فعن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة! إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكن ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم (الكافي: ٦٥/١).

٣ـ انتقاد بعض رواة الشيعة أمام الناس

وهو أسلوب آخر تزخر به الكتب الشيعية وقد استغله بعض السلفيين الجهلة للطعن على رواة الشيعة وتوهينهم وغفلوا أن الأئمة صرحوا أن ذمهم إنما كان للدفاع عنهم وحفظهم، فقد روى الكشي في رجاله ٣٤٩/١ (عن عبد الله بن زرارة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام اقرأ مني على والدك السلام. وقل له: إني إنما أعيبك دفاعا مني عنك فان الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى في من نحبه ونقربه، يرمونه لمحبتنا له وقربة ودنوه منا، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن وأن نحمد أمره. فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا ولميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر لمودتك لنا ولميلك إلينا، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دفع شرهم عنك يقول الله جل وعز (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً).

وعليه لا يبقى مكان للعجب من أمثال هذه الروايات الذامة وإن ورد بحق أوثق الرجال كزرارة هشام والمفضل ومحمد بن مسلم ويونس بن عبد الرحمن وأمثالهم من الأفذاذ المخلصين، ومثل هذه المنهجية (القرآنية) في حفظ الأفراد من سياط الجلادين والظلمة لن تجدها إلا عند أهل البيت عليهم السلام.

وكان مما أفرزته هذه المنهجية تذويب المئات من رواة الشيعة في داخل مؤسسة الرواية والحديث السنية بحيث تزخر بمروياتهم كتب الحديث عند العامة لاشتهارهم بالصدق والوثاقة عندهم، ولو لا مسلك التقية لانكشف تشيعهم وانحرافهم عن بني أمية ومن على نهجهم ولتم رفض رواياتهم بحجة الغلو والرفض (وقد رفضت بالفعل روايات الكثير من رواة الشيعة بهذه الحجج الواهية)، إن المتتبع لروايات فضائل أهل البيت عليهم السلام الواردة في كتب وصحاح أهل السنة ليجد أن أسانيد تلك الروايات تنتهي في الغالب إلى جملة رواة الشيعة الذين استطاعوا ـ بإتباع منهج التقية ـ أن يخترقوا منظومة التحديث السنية ليتركوا البصمات الشيعية على كل صحيح وجامع ومسند، كل ذلك بفضل الأئمة عليهم السلام ومن كان حولهم من المخلصين فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين وعن المؤمنين خير الجزاء والحمد لله رب العالمين ■

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة السيد آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظله الشريف) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تدور في مجتمعنا بعض الشبهات العقائدية وأرجو إبداء رأيكم الشريف فيها بشيء من التفصيل.

السؤال الأول:

هل نعتقد نحن كشيعة لآل البيت عليهم السلام أنهم يشرعون أحكاماً جديدة بعد النبي صلى الله عليه وآله فإذا كان الجواب نعم، فهل هذا يخالف آية إكمال الدين؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد فإن كان المراد من تشريع أئمة أهل البيت عليهم السلام للأحكام بعد النبي صلى الله عليه وآله أنهم يشرعونها استقلالا عن النبي صلى الله عليه وآله. فهذا مرفوض عند الشيعة أشد الرفض، ومنكر منهم أشد الإنكار، لأنهم عليهم السلام تابعون للنبي صلى الله عليه وآله، والتشريع يخصه.

والمراد بتشريعه صلى الله عليه وآله أنه هو المبلغ بأحكام الدين عن الله تعالى، وبه ختمت النبوة، وحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وقد كمل الدين في حياته صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن كان المراد من تشريع أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد النبي أنهم يبلغون بالأحكام التي أخذوها عن النبي صلى الله عليه وآله ووصلت لهم من طريقه. فهذا أمر لا ريب فيه، وهو من جملة وظائفهم الموكلة إليهم.

نعم الأحكام المذكورة يمكن أن تكون على قسمين:

الأول: الأحكام التي بلغها النبي صلى الله عليه وآله للناس، فضاعت عليهم، نتيجة الفتن والشقاق الذي مني به المسلمون، وحفظها أهل البيت عليهم السلام، وبينوها عند تيسر ذلك لهم.

الثاني: الأحكام التي لم يبينها صلى الله عليه وآله لعامة الناس، لعدم حاجتهم لها، بسبب عدم ابتلائهم بموضوعاتها في حياته صلى الله عليه وآله، مع قصورهم عن حفظها، لعدم تفرغهم لذلك، أو عدم اهتمامهم به، أو لعدم استيعابهم لها، أو لغير ذلك. وهذا لا ينافي كمال الدين، لأن كمال الدين لا يتوقف على تبليغه للكل، بل يكفي فيه تشريعه، وتمكين الأمة من معرفته، بإرشادها إلى من أودع عنده - وهم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده - وإقامة الحجة الكافية في ذلك.

هذا وربما يدعى في المقام أمران:

الأول: أن يكون هناك أحكام لم تصل للنبي صلى الله عليه وآله في حياته، بل قد لا تصل حتى للأئمة الأولين عليهم السلام، لعدم تحقق موضوعاتها، وعدم الحاجة لبيانها. وإنما وصلت للأئمة المتأخرين عليهم السلام عند تجدد الحاجة إليها. لكنها لم تصل لهم من الله تعالى رأسا، لأنهم ليسوا أصحاب شريعة مستقلة، بل أتباع شريعة قائمة، وإنما وصلت إليهم من طريق النبي صلى الله عليه وآله، منتقلة منه للأئمة واحدا بعد واحد، حتى انتهت للإمام الحي الذي تجدد موضوع الحكم في عصره وكان عليه بيان الحكم بسبب ذلك. فإن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وإن ماتوا، إلا أنهم لم ينقطعوا عن الدنيا، كما قد يحمل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: (يموت من مات منا وليس بميت...)[1]. ويشهد له جملة من أحاديثهم صلوات الله

(١) نهج البلاغة: ج:١ ص:١٥٥/بحار الأنوار: ج:٢٧ ص: ٣٠٣.

عليهم[1].

وفي حديث أبي بصير الطويل عن الإمام الصادق عليه السلام الوارد في بيان أقسام علوم الأئمة عليهم السلام، وذكر جملة من تلك الأقسام، قال: (ثم سكت، ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. قلت: جعلت فداك هذا والله العلم. قال: إنه لعلم، وليس بذاك. قلت: جعلت فداك، فأي شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار: الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء)[2]. وفي حديث علي السائي عن الإمام الكاظم عليه السلام: (مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض، وغابر، وحادث. فأما الماضي فمفسر. وأما الغابر فمزبور. وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع. وهو أفضل علمنا، ولا نبي بعد نبينا)[3].

وفي حديث زرارة: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لولا أنا نزاد لأنفدنا. قلت: تزادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: إنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم على الأئمة، ثم انتهى إلينا)[4]. وفي حديث سماعة: (قال أبو عبد الله عليه السلام: إن لله علمين: علما أظهر عليه ملائكته وأنبيائه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبيائه فقد علمناه. وعلما أستأثر به، فإذا بدا لله في شيء أعلمناه ذلك، وعرض على الأئمة الذين كانوا قبلنا)[5]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

وهذا القسم لو كان موجوداً في الأحكام الشرعية فلابد من حمل إكمال الدين ـ الذي دل عليه الكتاب والسنة، وقامت عليه ضرورة المسلمين ـ على تشريع جميع الأحكام الشرعية التي تخص هذه الأمة، وتمكينها من معرفتها، بنصب من يوصلها لها عند حاجتها إليها، وهم والنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام على التعاقب، وإن لم تصل إليهم عليهم السلام، ولا إلى الأمة، قبل حاجتها لها.

نعم في بعض الأحاديث أن هذا القسم من العلم لا يكون في الحلال والحرام، وإنما يكون في غيرهما. ففي حديث سليمان: (سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، سمعتك وأنت تقول غير مرة: لولا أنا نزاد لأنفدنا. فقال: أما الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله بكامله. وما يزاد الإمام في حلال ولا حرام. قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟ قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام. قال: قلت: فتزادون شيئا يخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: لا إنما يخرج الأمر من عند الله فيأتي به الملك رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) بحار الأنوار: ج:٢٦ ص:٨٦ ـ ٩٧ ج:٢٧ ص:٣٠٢ ـ٣٠٥ وغيرها.
(٢) الكافي: ج:١ ص:٢٤٠.
(٣) الكافي: ج:١ ص:٤ ٢٦.
(٤) بحار الأنوار: ج:٢٦ ص:٩٢.
(٥) بحار الأنوار: ج:٢٦ ص:٩٣.

فيقــول: يــا محمد ربك يأمرك بكــذا. فيقول: أنطلق به إلــى علي عليه السلام فيأتي عليا، فيقول: أنطلق به إلى الحســن، فيقول: أنطلق به إلى الحســين عليه السلام. فلم يزل هكذا ينطلق إلى واحد بعد واحد حتى يخرج إلينا. قلت: فتزادون شــيئاً لا يعلمه رسول الله؟ فقال: ويحك يجوز أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله والإمــام من قبله؟!)[1]. ولو تم ذلك يتعيــن انحصار الحلال والحرام بالقسمين الأولين.

الثانــي: أن الله تعالــى ربما يكون قد علم من النبي والأئمة من أهل البيت (صلوات الله وســلامه عليهــم أجمعين) أن رأيهم في بعــض الوقائع مطابق للمصلحة المناســبة لجعل الحكم الشرعي، وموافق لإرادته عز وجل، فأوكل التشــريع في تلك الوقائع إليهم، فإذا حكموا بشــيء أمضاه وأقره، تشــريفا لهم، ورفعا لشأنهم، حيث يظهر بذلك.

أولاً: بلوغهــم الدرجة العالية من الكمال وصــدق الرؤية، بحيث يصيبون الحق ولا يخطئونه.

ثانياً: كرامة الله تعالى لهم، حيث أوكل الحكم في تلك الوقائع إليهم عليهم السلام، وأمضى أحكامهم فيها وأقرها، وأمر عباده بمتابعتها والأخذ بها.

ويظهــر مــن بعض الأحاديث حصــول ذلك في الأحكام الشــرعية. ففي حديث الفضيل بن يســار: (ســمعت أبا عبد الله يقــول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل أدب نبيه، فأحســن أدبه. فلما أكمل له الأدب قال: (إنــك لعلى خلق عظيــم)، ثم فوض إليه أمر الدين والأمة، ليســوس عباده، فقال عز وجل: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسددا موفقا مؤيداً بروح القدس، لا يزل، ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله. ثم إن الله عز وجل فرض الصلاة ركعتين ركعتين، عشر ركعات، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة، فصارت عديل الفريضة، لا يجوز تركهن إلا في سفر، وأفــرد الركعة في المغرب، فتركها قائمة في الســفر والحضر، فأجاز الله عز وجل له ذلك كله، فصارت الفريضة ســبعة عشــرة ركعة...وحرم الله عز وجل الخمر بعينها، وحرم رســول الله صلى الله عليه وآله المســكر من كل شراب، فأجاز الله له ذلك كله...فوافق أمر رسول الله أمر الله عز وجل، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى)[2].

وفي حديث زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: (قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس، وحرم النبيذ وكل مســكر. فقال له رجل: وضع رســول الله من

(١) بحار الأنوار: ج:٢٦ ص:٩٢.
(٢) الكافي: ج:١ ص:٢٦٦، ٢٦٧.

غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: ليعلم من يطع الرسول ممن يعصيه)[1].

وفي حديث محمد بن الحسن الميثمي عن أبي عبد الله عليه السلام: (قال سمعته يقول: إن الله عز وجل أدب رسوله، حتى قومه على ما أراد، ثم فوض إليه، فقال عز ذكره: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). فما فوض الله إلى الرسول صلى الله عليه وآله فقد فوضه إلينا)[2].

وفي حديث عبد الله بن سنان: (قال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة. قال عز وجل: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله). وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام)[3]. ونحوها غيرها.

وربما يكون ذلك في هذه الأمة مسبوقاً بمثله في الأمم السابقة، كما قد يظهر من مثل قوله تعالى: (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين)[4]. لظهوره بدوا في أن الله تعالى قد أمضى تحريم إسرائيل على نفسه، وأجراه على بني إسرائيل وألزمهم به.

ولو تم ذلك فلابد من حمل الوحي في قوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى)[5] على أن ما يخبر به النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى لا يكون إلا بوحي منه عز وجل، وأنه صلى الله عليه وآله لا يفتري على الله تعالى، فلا ينافي أن يكون هناك ما يحكم صلى الله عليه وآله به بتفويض من الله عز وجل من دون وحي منه إليه. أو يراد من الوحي ما يعم الحكم الذي يراه صلى الله عليه وآله ويلقى في روعه من الله تعالى وتوفيق منه، ويحكم به بعد تفويض الله تعالى له بذلك. كما أنه لابد حينئذ من حمل إكمال الدين على إكماله بنصب من فوض الله تعالى له الحكم، لعلمه بأن لا يرى ولا يحكم إلا بالحق الذي يريده عز وجل، ويحكم به، ويكون من الدين بسبب ذلك.

والحاصل: إنه لا ريب في إمكان ذلك، لأن الله سبحانه قادر على تسديد أوليائه وخاصة عباده بالنحو المذكور، وهم (صلوات الله عليهم) أهل للتسديد والتشريف.

نعم ذلك لا يناسب جملة أخرى من النصوص. كحديث أبي حمزة عن الإمام الباقر عليه السلام: (قال: وإن الله لم يجعل العلم جهلا، ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه، لا إلى ملك مقرب، ولا إلى نبي مرسل. ولكنه أرسل رسولا من ملائكته، فقال له: قل كذا وكذا، فأمرهم بما يحب، ونهاهم عما يكره...)[6].

---

(١) الكافي: ج:١ ص:٢٦٧.
(٢) الكافي: ج:١ ص:٢٦٨.
(٣) الكافي: ج:١ ص:٢٦٨.
(٤) سورة آل عمران: آية:٩٣.
(٥) سورة النجم: آية:٤.
(٦) وسائل الشيعة: ج:١٨ ص: ٢١.

وكذا الأحاديث المتضمنة أن القرآن مشتمل على كل شيء، وأن علمه عند الأئمة عليهم السلام، مثل ما في رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى شيعته: (أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير. وأعلموا أنه ليس من علم الله، ولا من أمره، أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس. قد أنزل الله القرآن، وجعل فيه بيان كل شيء. وجعل للقرآن وتعلم القرآن أهلا...وهم أهل الذكر الذين أمر الأئمة بسؤالهم)[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه عن ربه فأخذه)[2]. وفي حديث سماعة عن الإمام الكاظم عليه السلام: (فقلت: أصلحك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بما يكتفون به في عهده؟ قال: نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة. فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا هو عند أهله)[3]. وتقدم في حديث سليمان أن الحلال والحرام قد أنزله على نبيه بكامله. والأحاديث في ذلك كثيرة أيضاً.

ومن هنا لابد من الجمع بين الطائفتين، وتأويل أحداهما بما يناسب الأخرى، أو تأويلهما معاً بما يرفع التنافي بينهما.

ونحن في سعة من ذلك بعد عدم ترتب الأثر العملي على الخلاف بينهما، لاتفاقهما، واتفاق جميع الأدلة، من الكتاب والسنة، في الأمر الجوهري المهم، ، وهو موافقة حكمهم (صلوات الله عليهم) لحكم الله عز وجل، وعدم خروجه عنه. ومن ثم يجب طاعتهم ومتابعة حكمهم، لأن طاعتهم طاعة الله سبحانه، ومعصيتهم معصية له جل شأنه.

وقد فسر التفويض في كثير من أحاديثهم (صلوات الله عليهم) بوجوب طاعتهم، كحديث أبي إسحاق النحوي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (سمعته يقول: إن الله أدب نبيه على محبته، فقال: (إنك لعلى خلق عظيم)، ثم فوض إليه. فقال: (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)، وقال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله). قال: ثم قال: وإن نبي الله فوض إلى علي وائتمنه، فسلمتم، وجحد الناس. والله لحسبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا. ونحن فيما بينكم وبين الله، فما جعل الله لأحد من خير في خلاف أمرنا، فإن أمرنا أمر الله عز وجل)[4]. ونحوه غيره.

أما الخلاف في كيفية صدور الحكم منهم عليهم السلام في بعض الموارد ـ وأنه حكاية عن حكم الله تعالى، أو بتفويض منه سبحانه وإقرار منه جل شأنه لحكمهم ـ فهو أمر لا يترتب عليه الأثر، ولا يختلف بسببه العمل. ومن ثم

(١) وسائل الشيعة: ج: ١٨ ص: ٢٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج:١٨ ص:٢٦. الكافي: ج:٢ ص:٤٦.
(٣) الكافي:ج:١ ص:٥٧. وسائل الشيعة: ج:١٨ ص:٢٣.
(٤) بحار الأنوار: ج:٢٥ ص:٣٣٤، ٣٣٥.

لا يحسن الاهتمام بهذا الجانب والتأكيد عليه، وتكلف الجمع بين الأحاديث الشريفة المتقدمة، لما في ذلك:

أولاً: من مخاطر التكلف في الدين، حيث قد يجر الخلاف في ذلك للقول في الدين بغير علم، لعدم وضوح وجه الجمع بين الأحاديث المتقدمة، بنحو يوجب اليقين الرافع للعذر، فإن الأمور العقائدية لا يكفي في البناء عليها الظهورات العرفية التي يعتمد عليها الفقيه في الأحكام الفرعية، بل لابد فيها من البرهان القطعي، ومن الصعب تحصيله في أمثال المقام، بعد اختلاف الأحاديث بالوجه المتقدم. وربما يميل الإنسان لبعض الوجوه، بنحو قد يحاول دعوى القطع به، مع أنه في الحقيقة لا يستند لبرهان يوجب القطع، فيعتقد به من دون عذر عند الله تعالى.

وثانياً: من محذور الشقاق بين الطائفة المحقة، حيث إن اختلاف الآراء في ذلك قد يجر كل طرف للدفاع عن رأيه والتصلب له، ورمي الطرف الآخر بالتقصير والتفريط في حق أهل البيت عليهم السلام، أو بالإفراط والغلو فيهم. وقد يترتب على ذلك مضاعفات خطيرة تضر بهذه الطائفة، وتزيد في محنتها خصوصاً في هذه الظروف الحرجة التي تمر بها.

ومن هنا كان الأسلم في الدنيا والآخرة رد الأمر في ذلك إلى النبي والأئمة(صلوات الله عليهم أجمعين)، وإيكال علمه لهم صلوات الله عليهم، والتسليم بالواقع على إجماله.

وهي نصيحتنا في جميع تفاصيل الأمور العقائدية، التي تختلف فيها النصوص المروية عن المعصومين عليهم السلام، والآراء المحكية عن علماء الطائفة رحمهم الله، مع إمكانها في أنفسها، وعدم لزوم محذور منها. فإن التسليم بها حينئذ على إجمالها أولى من محاولة تحديد الموقف من التفاصيل المختلف فيها، وتكلف الاستدلال على بعضها، وتبنيه بوجه قاطع، لما سبق من المحاذير والمشاكل التي نحن في غنى عنها، وسعة منها.

بل حتى من تكونت له في التفاصيل المذكورة قناعات قطعية، يرى نفسه معذوراً فيها أمام الله تعالى، نرى له أن يرفق بهذه الطائفة المتعبة، ويحتفظ بقناعاته لنفسه، من دون أن يعلنها ويصرح بها. فضلا عن أن يدعو إليها، ويحاول إقناع الآخرين بها، وحملهم عليها. ولاسيما في الأمور الحساسة. فإن ذلك قد يستتبع مضاعفات سلبية، وردود فعل سيئة تزيد في محنة هذه الطائفة وبليتها، ويفتح عليها باب الخلاف والشقاق، بنحو يضعف تماسكها، ويزعزع وحدتها، ويحدث فيها شروخاً يصعب تلافيها، وجروحا يعز تداويها.

والله سبحانه وتعالى هو الهادي إلى الحق، وعليه قصد السبيل، وهو العاصم من الزيغ، ونعوذ به من مضلات الفتن. إنه أرحم الراحمين، وولي المؤمنين. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

السؤال الثاني:

هــل يجب أن نعيد النظر في التعريف الســائد للســنة: (قول المعصوم وفعلــه وتقريره...) التي هي المصدر الثاني من مصادر التشــريع، بحيث نقول إنها قول النبــي وفعله وتقريره...لأن قول الأئمة مســتمد من قــول النبي. فإذا لم يوافــق قوله ﷺ لم يعد مصدراً من مصادر التشريع؟

الجواب:

ليســت وظيفة الســنة التشريع، بل الحكاية عن التشــريع، والكشف عنه. وهذا هو المراد من كونها من مصادر التشــريع، لا أن التشــريع يتحقق بها. ولذا عدت في جملة أدلة الأحكام الأربعة: الكتاب والســنة والإجماع والعقل، مــع وضوح أن الثلاثة الباقية كاشــفة لا مشــرعة. ومن الظاهــر أن ما يصلح للكشــف عن التشــريع، ويكون دليلاً عليه، ليس خصوص سنة النبي ﷺ، بل ســنة كل معصوم. بل حتى ســنة غير المعصوم إذا كانت بحيث لا يحتمل فيها الخطأ، لقرائن خارجية.

وعلــى هذا يبتني عد الإجماع من الأدلة، فإنه لا يكون دليلا إلا إذا أوجب العلــم، وكان بحيث لا يحتمل فيــه الخطأ. مع أن كل فرد من أفراد المجمعين ليس معصوماً. غايته أنه لا يسمى سنة اصطلاحاً، بل خصت السنة اصطلاحا بخصوص سنة المعصوم (صلوات الله عليه).

وأمــا فرض أن قول الأئمة عليهم السلام لا يوافق قول النبي ﷺ فهو فرض لا واقع لــه، بعد عصمتهم، ووجوب الرجوع لهم، والأئتمام بهم، صلوات الله عليهم وسلامه ورحمته وبركاته.

السؤال الثالث:

هل يفهــم من الروايــات الشــريفة أنه ﷺ فــوض إليهم أمر التشريع؟

الجواب:

يظهر الجواب عن ذلك مما سبق في جواب السؤال الأول.

ونســأل الله ســبحانه وتعالى لنا ولكــم التوفيق والتســديد، والثبات على الحق، والتسليم لأهله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

استطلاع المجلة

مرقد السيد إسماعيل الديباج..

أصل من أصول الشجرة الحسنية

استطلاع وتصوير: حيدر الجد •

ينابيع

منذ اقتران النورين العلوي والفاطمي شاء الله تعالى أن يكون الناتج ثمرتين مونقتين انحدرت منهما سلاسل ذهبية، حوت رجالاً ملئوا الأرض بالتقى والعبادة والصلاح والزهد والتواضع حتى أصبحوا بمرور الزمان شواهداً خالدة لا يمر بها التاريخ حتى يقف ويدون لها على صفحاته سيرة عطرة مطرزة بعناوين المجد والشرف لتكون نبراساً ومناراً لكل الأجيال وعلى مر الأزمنة والعصور.

ظل التمايز في الانتساب للتعريف بين أبناء الثمرتين فهذا حسني وهذا حسيني ولكن الجامع للشرف لكلا النسبين فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، الحلقة الموصلة بين خطي النبوة المحمدية والإمامة العلوية وقد ترجم هذا المعنى الشاعر حيث قال:

فموسى بلا عقب وأحمد معقب
وناهيك بالعقب الكرام الأعاظم
فستة أسباط الحسين وستة
من الحسن الهادي ، وكل لفاطم

من الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تفرع غصنان، احدهما حمل اسم زيد بن الحسن والآخر حمل اسم الحسن المثنى، أعقب الحسن المثنى عبد الله المحض والحسن المثلث وإبراهيم وداود وجعفر، تميز إبراهيم بينهم بالكرم والجود حتى لقب بالغمر وقيل بل كان زاهر الوجه فلقب بالقمر.

اليوم تبادر إلى مسامعنا وجود مرقد لولده السيد إسماعيل الديباج في قضاء الهاشمية الأمر الذي جعلنا نشد الرحال قاصدين بقعته الطاهرة لنجعلها محوراً

الواجهة الأمامية لمرقد السيد إسماعيل الديباج.. وتطل على الشارع المحاذي لنهر الجربوعية

لاستطلاع مجلتنا ينابيع للعدد (٣٧).

مع شخصية السيد إسماعيل الديباج نكون قد استوفينا لأغلب فصول مأساة أبناء الحسن عليه السلام الذين قيدهم المنصور العباسي وجاء بهم من المدينة إلى الهاشمية لتكون فيها نهايتهم المأساوية كما عرضنا ذلك في استطلاعات سابقة وكما يلي:

مرقد إبراهيم الغمر، العدد (٤).

الهاشمية عاصمة الماضي مدينة الحاضر، العدد (١٨).

باخمرى أرض الواقعة، العدد (٢٥).

السيد إسماعيل في دائرة الضوء

إن معنى كلمة (إسماعيل) حسب ماجاءت به الكتب مأخوذ من دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام ربه أن يرزقه الولد واستجاب سبحانه بعد صبر ودعاء طويلين فسمي هذا الوليد المبارك (استجابة الله)، (إسما) تعني في اللغة الآرامية (سمع أو استجاب) وكلمة (إيل) تعني (الله) في كلا اللغتين العبرية والآرامية[١].

أما كلمة الديباج فمشتقة من الفعل (دبج) والدبج هو النقش والتزيين فارسي، معرب، ودبج الأرض المطر يدبجها دبجاً روضها والديباج ضرب من الثياب، مشتق من ذلك الثياب المتخذة من الإبريسم سداه ولحمته[٢]، وعادة يطلق العرب على جميل الوجه وحسنه بالديباج أو ديباجة ومن لقبوا من العلويين بذلك:

١ـ السيد إسماعيل الديباج ويدعى

المدخل الرئيس للمرقد المبارك

بالديباج الأكبر.

٢ـ أخوه السيد محمد بن إبراهيم الغمر ويلقب بالديباج الأصغر وقد وضعه المنصور في اسطوانة ثم بناها عليه وهو حي فمات فيها.

٣ـ محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويعرف بـ(الديباج) تارة، وديباجة أخرى.

٤ـ السيد جعفر بن الحسن الشجري بن علي بن عمر الأشرف بن الإمام علي السجاد عليه السلام، ويعرف بجعفر ديباجة.

حياة السيد إسماعيل العامة

ولد السيد إسماعيل في بيت من أشرف البيوت وأعلاها محتداً واصلاً، فجده السيد الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام وجدته السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، ولم يحدثنا التاريخ أو كتب الأنساب والتراجم عن ولادته حتى نعرف إن كان قد أدرك جده أو جدته، أما أمه فهي ربيحة بنت محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية الذي يقال له (زاد الركب) أبو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله[٣].

نشأ بين أخوته محمد الأكبر ومحمد الأصغر ويعقوب وإسحاق وعلي والظاهر أنه كان كبير ولد أبيه والوحيد الذي انحصر عقبه فيه.

لم يسلط التاريخ أضوائه على أخبار السيد إسماعيل قبل نكبة السادات من آل الحسن عليه السلام في سجن الهاشمية، السجن الذي كان يسمى (المطبق) لعدم إمكانية معرفة الليل من النهار فيه لشدة ظلمته، وأول نص يعطي صورة واضحة عن شخصية السيد إسماعيل الديباج ينقله من هذا السجن الرهيب عبد الرحمن بن أبي الموالي الذي سجن معهم حيث سُأل: (كيف كان صبرهم (أي أولاد الحسن عليه السلام) على ما هم فيه؟، قال: كانوا صبراء، وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب، كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصاً، وهو إسماعيل بن إبراهيم، كان كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبراً)[٤].

وقد عرف السيد إسماعيل بلقب (الشريف الخلاص)[٥]، وكلمة الخلاص التي لحقت به جاءت من جوده وكرمه، وقيل بل من الخبر المتقدم أي صابراً خالصاً بصبره على تحمل المحن.

تضاربت الروايات حول وفاة السيد

إسماعيل فمنها من أشارت إلى نجاته من السجن وأنه شهد واقعة فخ سنة ١٦٩هـ أيام حكم موسى الهادي، ثالث خلفاء بني العباس ولم يقتل بها بل نجا وعاش إلى آخر أيام عمره.

يقول الشيخ محمد الساعدي عن هذا التضارب (وقد اختلف المؤرخون في أنه هل بقي مسجوناً فمات في سجنه أن أنه أطلق فذهب بعضهم على رأسهم صاحب المقاتل إلى أنه أخرج من السجن في خلافة المهدي أو الهادي وفي بعض الروايات أنه أعيد إليه حتى مات فيه وبعضهم قال أنه بقي مسجوناً حتى أيام المهدي فأطلقه ثم لما جاء موسى الهادي أعاده فمات في سجنه)[٦] وعلى هذا فإن تاريخ وفاته لا يمكن الجزم به.

في حين يذكر النسابة السيد عبد الرزاق كمونة الحسيني في ذكر (الهاشمية) في كتابه مشاهد العترة الطاهرة (... ومات بها إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام أبو إبراهيم الملقب بالديباج شهد فخاً وحبس مع بني الحسن الذين حبسهم المنصور بالهاشمية ثم هدم السجن عليهم فقتلهم وخنق بعضهم)[٧]، يفهم من هذا الخبر أن السيد إسماعيل قتل مع أهله في السجن، إلا أن عبارة (شهد فخاً) تعارض ذلك فإذا قتل مع أهله سنة ١٤٥هـ فكيف يكون قد اشترك بواقعة فخ سنة ١٦٩هـ؟

لقد تعددت المراقد المنسوبة للسيد إسماعيل أيضاً، حيث ذكر السيد محمد صادق آل بحر العلوم الطباطبائي في ذكر نسب جده السيد محمد مهدي الملقب بـ(بحر العلوم) قائلاً: (... بن أحمد المكنى بأبي الفتوح المتوفى بأصبهان في محلة غازيان ابن محمد المكنى بأبي جعفر المدفون عند جده بـ(جميلان) أصفهان ابن الرئيس أحمد ابن إبراهيم طباطبا المدفون بـ(جميلان) أصفهان بن إسماعيل الديباج المدفون بـ(كَل بهار) من محلات أصفهان ابن إبراهيم الغمر...)[٨].

وليس لدينا دليل من قريب أو بعيد يشير إلى أن السيد إسماعيل انتقل من مكانه إلى أصفهان، وأعتقد أن السيد محمد صادق بحر العلوم قد أخذ بقول السيد حسين علي نقيب زادة مشايخ الطباطبائي الذي أشار إلى ما ورد في كتابه (هدية آل عبا في أنساب آل طباطبا)، وهذا ما أكده السيد محمد مهدي الخرسان حيث ذكر في تقديمه لكتاب منتقلة الطالبية: (إسماعيل الديباج هو أيضاً ممن حمله المنصور مع آل الحسن ومات في الحبس معهم، وعلى هذا فلا معنى لما ذكره بعض الطباطبائية في كتابه هدية آل عبا من أن إسماعيل هذا التجأ إلى إيران واستشهد بأصفهان، وأن قبره في محلة (كُل بهار) متصل بالمسجد الكبير الذي في الجانب الغربي منه قبر شعيا النبي)[٩].

ثم يعلق السيد الخرسان قائلاً: (ومن الطريف إصرار هذا الرجل على خطأه فنقل عن سلاطين آل مظفر أن رأيهم في صاحب القبر (في أصفهان) أنه (إسماعيل بن زيد بن الإمام الحسن) كما كتبوا ذلك بخط جميل في كتيبة الحرم، وعقب على ذلك بأنهم اشتبهوا وأصر دون أن يدلي بحجة تاريخية ولكنه بعد ٤ صفحات عدل عن رأيه فذكر أن إسماعيل هذا من شهداء فخ وأن قبره هناك)[١٠].

يعرض السيد الخرسان قول آخر في مدفن السيد إسماعيل فيقول (كما أنه لا

الواجهة الجانبية لمرقد السيد إسماعيل الديباج.. وتطل على الأراضي الزراعية الموقوفة للحرم

معنى لما ورد في الكواكب السيارة لابن الزيات من قوله (ثم تمشي مع ذيل الكوم ـ كوم المنامة ـ مستقبل القبلة تجد على يسارك من الجهة الشرقية قبرين داثرين أحدهما قبر السيد الشريف إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما قيل...)[11].

وعلى ما تقدم فالسيد إسماعيل ربما يكون مدفوناً في موقع من المواقع الأربعة:

١ـ جميلان، في أصفهان (إيران).
٢ـ فخ، بالقرب من المدينة (الحجاز).
٣ـ كوم المنامة، (مصر).
٤ـ الهاشمية أو سورا، (العراق).

أما الموقع الأول فقد بينه السيد محمد رضا الطباطبائي بقوله في عرض نسبه وعند وصوله إلى جده الأكبر فيقول: (... أحمد الشاعر الأصفهاني بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج، توفي رحمه الله بأصبهان ودفن في محلة غازيان من توابع (جوبارة) إحدى محلات أصفهان، ويظهر من منتقلة الطالبية إن أبا عبد الله أحمد الشاعر هو أول من انتقل من الكوفة إلى أصفهان من أولاد إبراهيم الغمر وصرح بعض المؤرخين أنه فر من الكوفة خوفاً من بعض فراعنة زمانه بالعراق ... فيما يظهر في بعض كتب الأنساب أنه ولد بأصفهان أيضاً وكذلك ذكروا أن أجداده وآبائه أيضاً دفنوا في أصفهان ولم يتضح لي مستنده والله الموفق)[12].

وقد بين السيد الطباطبائي القول الفصل فلم يتضح له أي مستند يوثق القول بقدوم السيد إسماعيل أو حتى ولده السيد إبراهيم طباطبا إلى أصفهان وإنما الذي قدم إليها من الكوفة هو حفيدهما السيد أحمد الشاعر.

بالنسبة للموقع الثاني (فخ) فقد قام بالثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى واستشهد في واقعة فخ مع جماعة من العلويين ولم يكن إسماعيل ممن استشهد فيها بل لا يمكن التصريح أنه حضرها حيث لم يذكر أبو الفرج الأصفهاني في تعداد من حضر فخاً من العلويين أسم السيد إسماعيل، قد يكون إبراهيم طباطبا ابن إسماعيل الديباج قد شهدها لكنه لم يستشهد فيها .

أما كوم المنامة في مصر، فقد وهم ابن الزيات فنسب القبر إلى إسماعيل الديباج وإنما هو لأحد أحفاده فقد توطن من ذرية السيد إسماعيل بمصر عدد كبير وقد أدى تشابه اسم صاحب القبر مع اسم جده السيد إسماعيل إلى التباس الأمر عند ابن الزيات فنسب القبر إلى جده.

يبقى موقع الهاشمية هو الأقرب ليكون المكان الذي حوى جثمان السيد إسماعيل حسب ما تمليه الروايات وتشير إليه القرائن التاريخية، وأرى في نظري القاصر إن هذا الاحتمال مبني على أحد الأمرين التاليين:

١ـ أن يكون السيد إسماعيل قد لقي حتفه فعلاً مع آل بيته في سجن الهاشمية، وأن مرقده القائم الآن في قضاء الهاشمية (محافظة بابل) ما هو إلاّ سجن آخر من سجون المنصور، مضافاً إلى الموقع الذي زرناه وكان ضمن الاستطلاع (مدينة الهاشمية) والدليل على ذلك وجود ثلاث قبور منسوبة إلى ولده فقد تكون لأخوته وأولاد عمه .

٢ـ أن يكون قد نجا من القتل وأطلق سراحه من السجن، إذا أخذنا برواية ابن الأثير حيث قال: (ولم ينج منهم إلا سليمان وعبد الله وإسحاق وإسماعيل ولدي إبراهيم بن الحسن)[١٣]، فالتحق بالمدينة ثم اشترك بواقعة فخ، ولما نجا منها ترك المدينة خوفاً من فتك العباسيين فأرتحل إلى الكوفة، فسكن الهاشمية أو مدينة سورا القديمة ولما توفي دفن في داره كما دفن معه فيها ولديه وابنته كما هو متعارف اليوم.

أبناء السيد إسماعيل الديباج

ذكر أبو نصر البخاري في سر السلسلة (... فولد إسماعيل ثلاثة ولدين وبنتاً يقال لها شجيعة وهي أم إسحاق والحسن وإبراهيم)[١٤].

أما الحسن فيعرف بـ(التُج) ويكنى بـ(ابن الهلالية)، وإبراهيم (طباطبا) الجد الأكبر لعموم الطباطبائيين في العالم، وقد شابهت رواية مدفن إبراهيم الروايات المتعلقة بمدفن ابيه، إذ نسب له مشهد في مصر مكتوب عليه إبراهيم طباطبا وناقش ابن الزيات هذا القول بقوله ولا خلاف عند علماء النسب في صحة هذا القول إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا تعرف له بها وفادة[١٥].

أما في أصفهان فقد عرفنا فيما تقدم أن أحد أحفاد إبراهيم طباطبا قد انتقل من الكوفة إلى أصفهان.

أعقب السيد إبراهيم طباطبا من أحمد الرئيس والقاسم الرسي والحسن، أما أولاده محمد وإسماعيل وعبد الله فقد

مرقد السيد إسماعيل الديباج وإلى جانبه مراقد أبنائه..

المرقد المطهر من داخل الشباك

انقـرض عقبهم، وعلى هذا فالمزار القائم اليوم في الهاشـمية أو منطقة (سـورا) هو لإسـماعيل الديباج وولديه إبراهيم طباطبا والحسـن التـج وأختهما أم إسـحاق والله أعلم.

تاريخ المرقد

أول من أشار إلى مرقد السيد إسماعيل بالتعيين والوصف هو الشـيخ محمد حرز الديـن في كتابه مراقـد المعارف ولكنه لم يحدد بالضبط شـخصية صاحـب المرقد والظاهر أن التشابه بين اسم من نسب إليه حرز الدين القبر واسم السيد إسماعيل كان سبباً في وقوع حرز الدين في الالتباس.

ذكر رحمه الله مبيناً لعنوان إسـماعيل طباطبا: (إسـماعيل بن إبراهيم بن طباطبا بن إبراهيـم الغمر بن الحسـن المثنى بن الحسـن السـبط بن علـي بن أبـي طالب أمير المؤمنيـن عليه السلام أمه وأم أخيه محمد بن إبراهيم تعرف بـ أم الزبير بنت عبد الله المخزومية مرقد بالهاشمية عامر عليه قبة قديمة البناء، عاليـة الأطراف بالقرب من نهـر الجربوعية ويعد اليـوم من فروع نهر سورى (الفرات) القديم)[١٦].

فـي النص أعـلاه نلاحـظ خلط حرز الدين حيث أن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديبـاج بن إبراهيم الغمـر وليس إبراهيم طباطبا بن إبراهيم الغمر.

والظاهر إن السيد حسين البراقي وقع فيما وقع فيه حرز الدين فقال: (إسـماعيل بن إبراهيم بن طباطبا، دفن بالهاشمية)[١٧] ولـم يذكر ما يثبت ويدعـم قوله في إثبات

المرقد لمن ذكره.

أما إسماعيل الذي هو بصدد التعريف به فهو حفيد إسماعيل الديباج ولم يذكره المؤرخون أو الرجاليون، بل لم يعرف أين عاش وأين توفي، أما أخوه محمد بن إبراهيم طباطبا فقد توفي بالكوفة أول ليلة من رجب سنة ١٩٩هـ وهو ابن ثلاث وخمسين وقد خرج ثائراً مع أبي السرايا فتوفي فجاءة ودفن بالكوفة.

يقول حرز الدين: (...وقبره اليوم يقع في مقاطعة (السلط) المرقمة (٢٧) قطعة (٤٢٩) في تسوية حقوق الأراضي، عند (الرجيبات) إحدى عشائر الجبور، ضمن ناحية القاسم يبعد عن الناحية (٧كم) على الطريق العام القديم (حلة ـ ديوانية)، ويبعد عن الجادة الجديدة التبليط حدود (٣كم) وقفت على قبره وتناولنا وجبة طعام الغداء عند سدنته، وكان الوقت حاراً قائضاً، وقد مررت به في يوم الاثنين (٩) ربيع الأول عام (١٣٨٧هـ)/ (١٧) تموز سنة (١٩٦٧م)، وكان قبره عامراً مشيداً جديد البناء، في غرفة طولها وعرضها (٥×٥م)، فوقها قبة بيضاء ارتفاعها من سطح الأرض حدود (١٢) متر، وكان رسم قبره في الربع الجنوبي الشرقي من الغرفة وعليه شباك خشبي.

وكان في غرفة الحرم أيضاً دكتان، لقبرين يزعمون أن الدكة الجنوبية هي لأخته واسمها

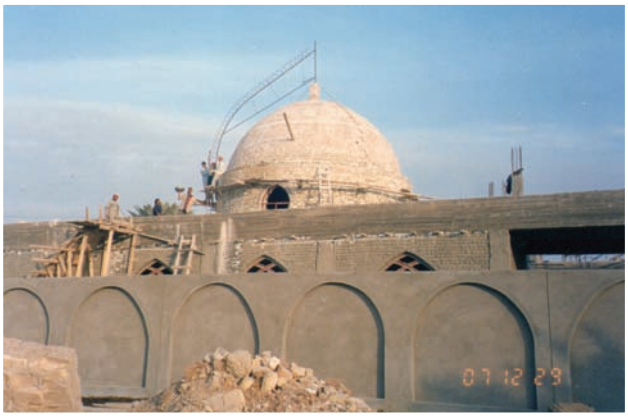

مراحل التجديد الكامل للمرقد ويظهر فيها إنشاء القبة الجديدة وبناء الحرم الداخلي والجدار الخارجي للمرقد المطهر

(زمزم)، والشمالية لأخيه ويزعمون اسمه السيد جاسم ـ قاسم وفي الجانب الغربي لهذا الحرم رواق متصل به فيه دكة لقبر مجهول عندهم ويزعم بعضهم أن اسمه إبراهيم.

وقد أشاد قبره مقارباً لهذا التاريخ مديرية الأوقاف العامة العراقية، حدثني سدنة المرقد أن الأوقاف كانت تستوفي منا ضريبة سنوية على مزرعة المرقد البالغ مساحتها (٧٠٠) دونماً، وقد أنشأ سدنته طارمة جديدة أمام القبر كما صنعوا الشباك الخشبي الجديد القائم الآن على قبره بمكان الشباك القديم البالي، وقوام قبره من قبيلة (آل يسار) وعددهم اليوم قرابة مائة شخص)[١٨].

المرقد اليوم

في ١٦ جمادى الأولى ١٤٣١هـ المصادف الأول من أيار ٢٠١٠م اتجهنا نحو قضاء الهاشمية لزيارة مرقد السيد إسماعيل، يمكن الوصول للمرقد عن طريقين:

١ـ الطريق الأول المتفرع من الشارع العام حلة ـ هاشمية حيث توجد لوحة تشير إلى المرقد ويبلغ طول هذا الطريق حوالي (٣كم).

٢ـ الطريق الثاني، قبل الدخول إلى مدينة القاسم وعند السيطرة الأمنية يوجد طريق فرعي على جهة اليسار يؤدي إلى المرقد بطول (٥كم) تقريباً.

كان باستقبالنا الأخ مهند علي اليساري الطائي أحد سدنة المرقد وقد واكب مراحل العمل فيه منذ البداية فحدثنا قائلاً: (توارثنا سدانة المرقد من آبائنا وأجدادنا فقد سكنوا هنا منذ عشرات السنين ونحن نقوم بأعمال صيانة المرقد وأعماره والنظر في خدمات زائريه خصوصاً يوم الأربعاء من كل أسبوع حيث يتوافد على المرقد الزائرون، كان المرقد صغيراً لا يتناسب مع عدد الزائرين فلما وضعت دائرة الوقف الشيعي في بابل خطتها الاستثمارية لعام (٢٠٠٧م) أدرجت إعادة إعمار المرقد كاملاً ضمن أولويات خطتها وبالفعل فقد بوشرت أعمال إزالة البناء القديم في الشهر الثاني عام (٢٠٠٧م) وكان برنامج العمل يتضمن إزالة البناء القديم ثم تشييد بناء حديث، وفق تصاميم أعدتها الدائرة الهندسية في ديوان الوقف الشيعي وقد تم العمل بأكمله تقريباً في الشهر التاسع عام (٢٠٠٩م).

كما أعلمنا السادن بوجود صخرة قديمة تشير إلى صاحب المرقد إلا إن السادن دفنها ضمن الدكة الموجودة على القبر حفاظاً عليها من التلف.

وعندما سألنا عن كيفية إدارة المرقد وتوفير مستلزمات الخدمات العامة فيه أجابنا: (بالرغم من قيام دائرة الوقف الشيعي في بابل بإعمار وتشييد المرقد إلا أن الدعم المادي للمرقد بقي جامداً حيث نعتمد في أغلب الأحيان على التبرعات الشخصية من الزائرين والساكنين في جوار المرقد وسدنته وعندما انفصلت إدارة المرقد عن الوقف الشيعي أصبحت تدار بواسطة الأمانة العامة للمزارات الشيعية ولكن الوضع لم يتغير حيث بقي الدعم المادي للمرقد كما كان عليه).

تبلغ المساحة الكلية للمرقد (٢٥٠٠ متراً) مربع، فيما تساوي مساحة الحرم وتتوسط البوابة الرئيسية الواجهة الأمامية للمرقد وعند اجتيازها يلاحظ مساحة واسعة يتوسطها الحرم، وفي مقدم الحرم باحة

مسقفة تتوسطها باب خشبية تفتح على الحرم الطاهر، يتوسط الحرم شباك خشبي قديم والظاهر أنه الشباك الذي أشار إليه حرز الدين وعندما سألنا عن عدم تناسب الشباك الصغير مع هذا البناء الضخم، بما فيه القبة المرتفعة الشامخة فقال: (سوف ننقل شباك القاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لنضعه على ضريح السيد إسماعيل بدلاً من هذا الشباك الخشبي بعد اكتمال انجاز الشباك الفضي الجديد للقاسم عليه السلام).

يقع على يسار الداخل إلى الحرم ثلاث قبور، اثنان متتاليان، أحدهما للسيد إبراهيم طباطبا والآخر لأخيه الحسن التج فيما يبتعد الآخر وينحرف قليلاً بمقدار (مترين) تقريباً وهو لأختهما السيدة أم إسحاق.

ترتفع فوق المرقد قبة خضراء خطت عليها أسماء المعصومين الأربعة عشر موزعة بصورة دائرية فيما يحيطها من الأسفل طوق من الكاشي الكربلائي كتبت عليه آية (الله نور السموات والأرض مثل نوره... الآية الكريمة)، يبلغ قطر القبة حوالي (٨ أمتار) وارتفاعها حوالي (١٥ متراً) ■

عملية رفع الصخرة القديمة «الشاهد» على شخصية صاحب المرقد ووضعها داخل القبر حفاظاً عليها من الضياع

(١) ينظر الموقع:www.sez.ae.com.
(٢) الطريحي، مجمع البحرين، ٦/٢.
(٣) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٧٢.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الأعرجي، مناهل الضرب، ص٣٢٨.
(٦) الحسنيون في التاريخ، ص١٥٧.
(٧) مشاهد العترة الطاهرة، ص٢٨١.
(٨) عمدة الطالب، الهامش، ص١٧٤.
(٩) ابن طباطبا، منتقلة الطالبية، المقدمة، ص٢٨.
(١٠) المصدر السابق.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) الطباطبائي، تنقيح الأصول، المقدمة، ص١.
(١٣) الكامل في التاريخ، ٥٣٧/٥.
(١٤) العلوي، المجدي في أنساب الطالبيين، ٦٩.
(١٥) ابن طباطبا، منتقلة الطالبية، المقدمة، ص٢٢١.
(١٦) مراقد المعارف، ١٥٧/١.
(١٧) تاريخ الكوفة، ص٧٩.
(١٨) مراقد المعارف، الهامش، ١٥٧/١.

تحويل القبلة

١٥ رجب سنة ٢ هـ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة، وفي هجرته. فعيرته اليهود وقالوا له: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، ونحن أقدم منك في الصلاة.

فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك، وأحب أن يحوّل الله قبلته إلى الكعبة، فخرج في جوف الليل ونظر إلى آفاق السماء ينتظر أمر الله، وخرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الذي جمع فيه أول جمعة كانت بالمدينة، وصلى بهم الظهر هناك بركعتين إلى بيت المقدس، وقد صرف إلى الكعبة فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين، فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين.

وكان ذلك في الخامس عشر من شهر رجب في السنة الثانية من الهجرة ونزل عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة:١٤٤.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما صرف الله نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وآله: أرأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس. وفي رواية قال المسلمون: يا رسول الله ذهبت صلاتنا إلى بيت المقدس وطهورنا ضياعاً؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة:١٤٣. فسمى

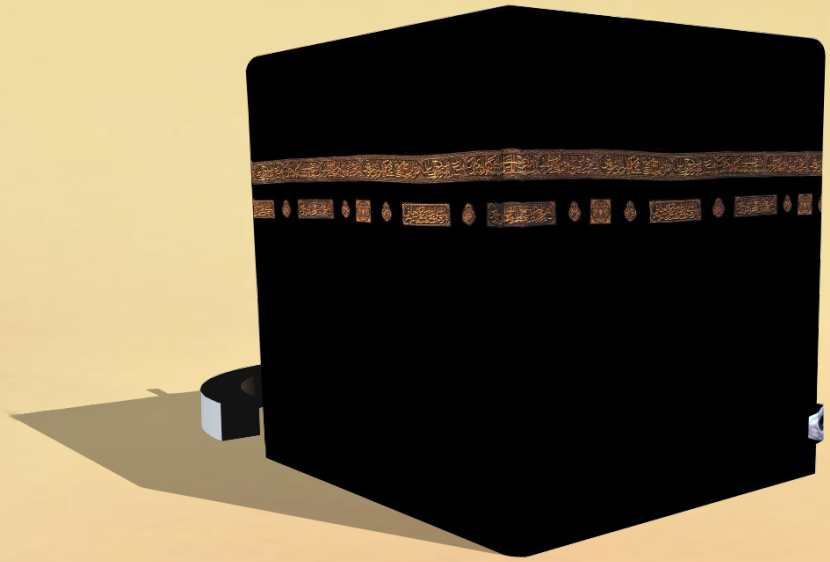

الصلاة والطهور إيمان.

وأما اليهود فقد عابوا على المسلمين رجوعهم عن بيت المقدس إلى الكعبة، وقابلوا ذلك بالسخرية والاستهجان، واستغلّوا ذلك الحدث بدهاءٍ ليمرّروا من خلاله الشكوك والتساؤلات طعناً في الشريعة وتعميةً لحقائقها، وقد حذّر الله سبحانه وتعالى المسلمين وأخبرهم بموقف اليهود قبل وقوعه فقال: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ البقرة:١٤٢.

وهكذا تحقّق للمسلمين فضل التوجّه إلى القبلتين جميعاً، واستطاعوا أن يجتازوا هذا الامتحان الإلهي، وبذلك نالوا شهادة الله: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ البقرة:١٤٣، وكان ذلك التحوّل إيذاناً بنهاية الشرك وسقوط رايته، وأصبحت الكعبة قبلةً للمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ■

حكمة الله

قصة قصيرة

بنت العراق •

ينابيع

قالت الطبيبة التي بدا عليها الحكمة والوقار للزوجين الذي قبالتها: مبارك. ستلد زوجتك بنت جميلة إن شاء الله. قالت الزوجة بصوت ممزوج بخيبة الأمل... بنت مرة أخرى؟!. بينما أكفهر وجه الرجل ولم يقل شيئاً ما أن رأت الموقف حتى راحت ذاكرتها إلى الماضي.

إن الذي جعل الماء يتضجر من الصخر الصلد.. وجعل البرعم ينشق من الغصن اليابس.. وهب لتلك الفتاة الصغيرة إرادة لتحيا.. بالرغم من كل حدث وغرابة ما حصل بعد ولادتها.. دون أن يكون لها يداً في اختيار أسرتها.. أو حياتها .. إنه القدر.. لا غير. وبدأت تحدث الزوجين حكاية عرفتها:

عندما كانت حملاً في بطن أمها...تمنى كل من يعرف هذه الأسرة أن تكون ولداً.. فضلاً عن والديها الذين لديهم ٩ بنات ويحلمون بالولد ليكون عوناً على الدهر!! إلا أن والدها لم يتمن فحسب. بل أقسم أنه لو جاء المولود أنثى فسوف يرميها في مزبلة الحي ويتزوج بعد ذلك.

ومرت الأيام ثقيلة والأم بين الحلم والرجاء... وجاءت ساعة المخاض..وجاءت إلى الدنيا البنت العاشرة لأبويها..وأي يوم يوم ولادتها وقفت الجارات كالسد المنيع بين الزوج ومبتغاه بينما أمسكن بناته بأذيال ثوبه وهن يبكين ويتوسلن.. دون جدوى.. لم تهدأ ثائرته ولم يقر له قرار بل لقد أصابه مس من الجنون حتى أخذ الطفلة

وسعى بها إلى مزبلة الحي فرماها وعاد.. وهو يشعر بارتياح كبير.. نقلت الأم إلى المستشفى أثر الصدمة وبقيت الفتيات يصرخن ويبكين.. وانتدبت الجارات أزواجهن عسى أن يقنعوا الرجل بـ العدول عن قراره.. مرت ساعتان والطفلة بين النفايات والصغار من حولها مدهوشين حتى سمعت إحدى الجارات بذلك فأخذتها إلى دارها.

ومر يومان فذهبوا الرجل وقالوا: إنك أبررت بقسمك فما داعي أن تربى ابنتك بعيداً ثم إن من يحمل مسؤولية تربية تسع بنات فما الفرق بعشر بنات.. وهذا رزق الله ولا اعتراض على حكم الله.. وسمع كل من في الحي هذه الحكاية الغريبة وتوسط فيها.. حتى عادت البنت إلى أحضان أمها.. فما أن أبصرت وجهها بكت و أطلقت عليها أسم (مُرّة) لمرارة ما رأت عند ولادتها.. وما لحقها من همز ولمز وتندر من قبل الناس على حالها.. وأكمل الرجل ما أقسم عليه فتزوج من أخرى.. الا أنه كان يزور الأسرة كل أسبوع فيسد حاجاتهم ويعطيهم مصروفهم.

وكبرت الطفلة في أسرة كبيرة وشُحِ في الحب والحنان.. كما أن والدتها تحملها دون شعور أنها سبب مغادرة الأب المنزل.. كل ذلك لم يؤثر فيها بقدر ما حصل يوم قررت اللعب خارج المنزل مع أترابها.. كان عمرها ٥ أعوام.. ما أن خرجت مع أختها الأكبر وحاولت التعرف على الصبية والفتيات.. حتى صرخ الجميع وصفقوا (أم زبالة)!!.

عادت إلى المنزل باكية.. الاسم الذي سمعته همساً من أفراد أسرتها يطلقه عليها أهل الحي جهاراً.. حتى الرجل الكبير صاحب البقالة قاله لها يوماً وهو

يضحك!! دون أن يشعر بها.. كذلك النسوة من الجارات اللاتي يزرن والدتها بين الحين والآخر لا يعرفنها إلا بهذا الاسم.. وأخواتها كذلك حين يتشاجرن معها.. وهي لا تعلم أي الأسمين أشد وقعاً على قلبها مرّة أم لقبها المؤلم... أمها فقط كانت تحس بها وغالباً ما تناديها مروة وليس مرّة ولهذا استعذبت هذا اللفظ من أمها وأحبته وكرهت كل ما سواه.

في المدرسة عالم آخر.. عرفت فيه طريقها للنجاح والتألق.. إذ ليس في المدرسة من يعرف حكايتها الغريبة ولقبها المجرح.. وجدت صديقات محبات وعالم يمكن أن تنطلق منه وتعيد ثقتها الضائعة.. في أعوام الابتدائية عاد الأب إلى زوجته وبناته منكسراً بعد أن طلق زوجته الثانية لمرور (٧) أعوام على زواجهما دون أن يرزقهما الله بطفل.. وفي تلك الأثناء كانت قد تزوجت خمس من أخواتها أيضاً. كانت الأسرة طيبة والأم تحرص على تربيتهن فقد كنّ مثلاً للآداب والأخلاق الفاضلة ولم تجد الأم صعوبة في تزويجهن فلم تمر بضعة أعوام أخرى حتى تزوجت جميع الأخوات إلاّ هي.. فقد أصرت على أكمال تعليمها.. فقد كانت متميزة ومتفوقة وهذا شجع والداها فتركوا لها ذلك. وأتمت دراستها بمعدل ممتاز ثم دخلت كلية الطب ودرست التخصص بعد ذلك وبامتياز أيضاً.. فتحت عيادتها لأهل الحي عصراً بينما تذهب صباحاً إلى المستشفى ويومان في الأسبوع مجاناً لمن لا يملك الأجر.

أحبها أهل الحي.. وتناسوا القصة القديمة.. وتلكأت ألسنتهم في ترديد لقبها.. بينما وجدوا حلاوة أكثر بمناداتها دكتورة مروة.

لا زالت تعني بوالديها.. وتحرص أن تكون أشد براً بهم .. وتنفق عليهم .. وهي تحبهم أكثر من أي شيء في الدنيا ثم قالت للشاب الذي انبسطت أساريره بعد أن كان وجهه مكفهراً.

أتعلم؟ سيذهبان للحج هذا العام إن شاء الله. فقال وقد شعر بحرج شديد: إن شاء الله. ثم قالت: واعلم شيئاً آخر. أنا الدكتورة مرّه (أم زبالة). فاتسعت عيناه دهشة وابتسمت زوجته.

لا أخجل من قول ذلك لأن لا يد لي فيه بينما أفخر بما أنا عليه لأن لي يداً في صنعه فلا تكفر نعم الله عليك بالجحود - فقال الشاب - حتماً سأتمنى لو يكون عندي بنتاً مثلك طبيبة مشهورة بالخلق الكريم قبل العلم .. أنا آسف.

لا تأسف بل استغفر الله.

خرج الرجل وزوجته.. فارتشفت شيئاً من الماء ثم استدعت الذي بعدهما ■

قصيدة:

شهيد السجون

مهدي جناح الكاظمي •

لا السجن يحجبه ولا السجان ... نارُ الكليم ونوره صنوان
من قبل إيجاد الوجود ولم يزل ... نوراً به يتوضأ القرآن
موسى ابن مدرسة الخليقة جعفرٍ ... ناءت بشكر صنيعه الأزمانُ
هذا هو النبراس شعَّ ومن لهُ ... صلى الظلام وصلت القضبان
أزكى الأنام علاً وأسخاها يداً ... بحرٌ وراحة كفة الطوفان
ظهرت بحضرته المعاجز للورى ... وعلى يديه تلألأ البرهان
سل عنه من أعيا الأساة بدائهِ ... وسل الذي ضاقت به الأوطان
ملك تزاحمت الملوك ببابه ... وهوت على أعتابه التيجان

* * * * *

يا كاظماً للغيض آية حلمهِ ... للواهبين محجة وبيان
يا واهب الأحرار أي بصيرةٍ ... يوم النزال إذا التقى الأقرانُ
ومنحتهم نصراً إذا ما استوحدوا ... في ساعةٍ شحت بها الأعوان
علمت أجيال العقيدة ثورةً ... من عندها يتعلم البركان
فإذا القيود على يديك مشاعل ... ورؤىً بها يتحرر الإنسان
يا راهباً لبني العلا من هاشم ... بك فاخرت أهل السما عدنان

يـا زاهـــداً والمـلـك طـوع بنانه ... وعـلى شفاهك يسجد الإحسان
يـا قبلة العباد راح عـلى المـدى ... مـتـوشـحـاً بـردائـك الإيـمان
تلك السلاسل حول جيدك أحكمت ... هـي حـكـمـةٌ يـغـنـو لهـا لـقـمانُ
قوضت عرش اللا رشيد فلم يعد ... يحـويـه لا قـصرٌ ولا إيـوانُ
أودى بـه كـأبـيـهِ ضِـنَّـهُ واهـم ... أنَّ المـعـالي خمـرةٌ وقـيـانُ
فـإذا بـه لحـدٌ يـضـمُّ مخـازيـاً ... جـسـداً عليه تـصـارع الـديـدان
وإذا بقبتك الـكـواكـب دونهـا ... وإذا ثـراك الـروح والـريحـان

* * * * *

يـا آيـة الـوجـدانِ يـا تسبيحهُ ... لله سـبـح بـاسـمـك الـوجـدان
اليـوم أحـشـاء الـوديـعـةِ ودعـتْ ... وتـصـدعـت مـن مكـة الأركـان
هـــارونُ مـــزّق مـهـجـةً لمحمدٍ ... ومخـالـبـاً أهـــدى لـه مـــروان
يـا ظلمةَ الـتـأريـخ كـم متلفعٍ ... بـك وهـو في عـين النهار جبانُ
وضـمـيرهُ قـلـمُ الـرذيـلـةِ واجـدٌ ... أفعى يمجُّ سمومها السلطانُ
يستأسدونَ عـلى الهـدى وبيوتهِ ... في كـلِّ عـصرٍ قـادهـم شيطانُ
ومحـى الصغارُ زمانهم ومكانهم ... مـاتـوا فـلا زمـنٌ لهـم ومـكـانُ
ذكـراك بـلـسـمُ عـلـةٍ بنفوسنا ... وبـفـتـنـةٍ حـلـت بـنـا فـرقـان
هـذي رؤوس الجاهليةِ أينعتْ ... عـادت قريش وعـادت الأوثـان

* * * * *

يـا مـألـفَ البلوى ألفتك مثلما ... ألـف الضلوع الحـانـيـات جنان
صـوتـاً سـمـاويـاً يجلجلُ في دمي ... فـيـزلـزل الآثـــام وهـــو أمـــانُ
ويـكـادُ يختنق النشيدُ بـأدمـعٍ ... خـرسـاءَ أنطقهن منك حنانُ
ويكيد لي زمني ليذبح هاجساً ... مـنـي فـيـدرأ كـيـده الـرحمـن
وهـواك يمنحني اليقين شجاعةً ... بيقينها تـتـدرع الـشـجـعـان
مـا ضرَّ عـزمـي مـقـبـلاً بعديده ... وثـبـت حـين تـفـرق الإخـوان
ربحَ الوغى من كان حبُّك سيفهُ ... حتى ولـو بـرزت لـه الأكـوانُ

فو حقِ مدمعك الغزير وسجدةٍ ... فيها جبين المنتهى يزدان
وبساقك المرضوض والعرش الذي ... حلقُ القيود لساقهِ عنوانُ
ما أشرقت لولاك أقمارُ الهدى ... يوماً وأسمع للصلاة أذان
لو لم تكن باب الحوائج ما سعت ... قصداً وأصبح بابها الحرمان

* * * * *

يا سلسبيل الله سال على الحجى ... فإذا بقفراء العقول جنانُ
بظلالك الزوراء أورق جدبها ... وسعى إلى أبوابها رضوان
ما أنصفتك طريدة آويتها ... وفريسة يستامها الذؤبان
ألفتك كوكبها بزحمة ليلها ... وسديد رأيك عندها ميزان
يا صاحب العلم اليقين تحيةً ... من عرشه أزجى لك السبحانُ
الحلم يعرف أن قلبك بيته ... والعفو فيك سجيةٌ وكيان
وأتاك جرح الصبر يطلب بلسماً ... حين اعتراه من الزمان سنان
يا محسناً يجثو بكفيك الندى ... يا كوثراً يصبو له الظمآنُ
ظفر الذي يسعى إليك بحاجةٍ ... والجاه عندك كله والشانُ
الكاظمية أنت حكمة مجدها ... ولأنت من أحداقها إنسانُ
ولدت بجرحك حيث أنت أباً لها ... تبقى وتبقى أمها الأحزان
أحرارها منك الدروس تعلموا ... لو لم تكن حاديهم ما كانوا
ولها على درب الخلود دلالة ... شمخت وفيض دمائها قربانُ

* * * * *

يا مهجة الزهراء حبك ملهمي ... شعراً تقاصر عنده حسان
أنفقت عمري في هواك محبةً ... وفدتك مني مهجةً ولسان
ونظمت أحشائي قصيدة والهٍ ... جاءتك لا أهلٌ ولا خلانُ
خجلى من التقصير فيك فضمها ... فهي التي ما ضمها ديوانُ
يا آل بيت الوحي أنتم جُنَةٌ ... إن فتحت أبوابها النيران
أنا عبدكم ما عشت أهوى مدحكم ... يا من لكم كلُ الورى عبدانُ

الإمام الحجة (عج) رحمة للبشرية

الشيخ علي اليماني •

ينابيع

إن ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) سيكون رحمة للبشرية، ونقصد من ذلك أن الإمام عج سيكون في كل حركاته وسكناته رحمة للناس، ولما كان الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف مصلحاً ومنقذاً لكل المظلومين فإنه سيكون رافعاً لكل ظلم وحيف يصيب الناس أي سيكون مدافعاً عن جميع المستضعفين ومحباً للجميع ومشفقاً على الجميع، والإمام (عجل الله فرجه) لا يحمل الكراهية لأحد ولا يفكر بالانتقام من أحد، والإمام همه الوحيد أن يجعل السلام في ربوع الأرض فلا يرضى أن يتعد أحد على أحد ولا يقبل لأحد أن يتجاوز على حقوق الآخر بل يرفض إراقة الدماء ويعارض الحروب بين الدول ويحاول أن يجعل كل العلاقات بين الناس على أساس المحبة والرحمة والتفاهم، والإمام سيعلّم الناس كيف يحب بعضهم بعضاً وكيف يرحم بعضهم بعضاً، وبمعنى آخر أن النزاعات بين الناس ستنتهي والحروب بين الدول ستتوقف، لأن النزاعات لا تحدث إلا بسبب الاعتداء على حقوق الآخرين، وأصحاب الحقوق يحاولون أخذ حقوقهم بالقوة أحياناً وبالتراضي أحياناً أخرى، إلا أن القوة أكثر ما تسود حالة النزاعات هذه، فلا تؤخذ الحقوق إلا من خلال القوة وفرض التهديد، ولكن الإمام يسعى إلى فرض العدل في الناس ويوزع جميع الحقوق على أصحابها ويجبر المتجاوزين على حقوق الغير من إرجاع حقوقهم إلى أصحابها، فإذا رأى الناس أن حقوقهم مضمونة فإن النزاع لا يحدث أبداً وإن القوة لا يحتاج إليها أصحابها، وستسود لغة المودة بدل

البغض، والمحبة بدل الكراهية، السلام بدل العنف.

إن دولة العدل والسلام هي التي ستسود العالم في زمن ظهور الإمام وسيكون الجميع متساوين في الحقوق والواجبات.

وإذا كان الأمر كذلك فهل يعقل أن يكون الإمام سبباً في العنف وإراقة الدماء كما يتصور البعض، ولعل أعداء الإمام حاولوا أن يرسموا صورة العنف ويقدموا رؤية غير صحيحة عن حركة الإمام وكأن الإمام عند ظهوره ليس له هم سوى القتل والانتقام والدماء.

إننا لابد لنا من بيان مختصر لأحداث الظهور حتى يتبين لنا الأمر ويرتفع الالتباس الذي يتصوره البعض من كون الإمام عند خروجه يسفك الدماء ويقتل من الناس مقتلة عظيمة، والأمر ليس كذلك إذا ما تصورنا أن الإنسان حينما يريد أن يحقق أمراً مشروعاً يعارضه البعض.

ويحاول أن يثبت معالم الدين وأن يكون الأمر كله لله إلا أن ذلك يتعارض مع مصالح البعض إذ أنهم لا يريدون تحقيق ذلك على حساب مصالحهم فما الذي نتوقعه من هؤلاء، هل يستسلمون بأدنى دعوى يدعوها هذا المصلح ويسلمون أمورهم إليه؟ أو أنهم سوف يقاومون بأية طريقة كانت وسيسفكون الدماء ويشيعون القتل من أجل إفشال مشروع هذا المصلح، بل سيسعون لقتله وقتل من كان معه لاستئصالهم وإيقاف مساعيهم.

ولنستذكر ما واجهه الرسول صلى الله عليه وآله في نشره لدعوته حين عارضته قريش وانتفضت تتأثر لإيجادها وتنتقم لأصنامها التي حطمها النبي صلى الله عليه وآله وسفه معتقدات الكفر وأوهام الشرك التي كانت تسيطر على عقولهم وتستولي على قلوبهم ونفوسهم، أجل لم تقبل قريش ما دعاها الله النبي صلى الله عليه وآله لعبادة الله الواحد الأحد ونبذ عبادة هذه الحجارة التي لا تضر ولا تنفع لينقذهم من الضلال ومن عبادة الأوثان إلى السعادة وعبادة الله الواحد المنان، وهكذا استعملت قريش عتاة قومها لإيقاف النبي صلى الله عليه وآله عن دعوته فجيشت عليه الجيوش وحاربته بكل ما تملك من قوة، فما هو موقف النبي صلى الله عليه وآله من ذلك، هل يستسلم لقريش الكفر والشرك وهل تنهيه هذه الحروب القرشية عن أداء رسالته ويستسلم لإرادتها، أم أنه يواصل مسيرته ويجعل توكله على الله وهو حسبه ويقاتلهم دفاعاً عن المؤمنين ليوقفهم عند حدهم في انتهاكاتهم وفي طغيانهم الذي هم فيه يعمهون؟ إن هذه المواجهة من النبي صلى الله عليه وآله مع قريش وإن كانت دفاعية تتطلب جهداً مضنياً ومعه ستكون إراقة الدماء والقتل من قبل النبي صلى الله عليه وآله واضحة وبشكل يكون معه القتل ظاهرة في حركة النبي صلى الله عليه وآله فهل سنقول إن النبي صلى الله عليه وآله يعتمد على إراقة الدماء.. وهل سنقول إن حركته هي حركة قتل وانتقام؟ أو هي مقتضيات لحركته الشريفة التي تتطلب معها بذل الجهد والدفاع المستميت ضد المعارضين لمشروعه الإلهي، إن لم يفعل النبي صلى الله عليه وآله على صدهم ومقاومتهم فقد فرط في مشروعه وقصر والعياذ بالله اتجاه إرادة الله والنبي صلى الله عليه وآله لا يعصي أمر الله طرفة عين أبداً.

ومثل ذلك حديث للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند حروبه الثلاثة مع القاسطين وهم معاوية وأهل الشام والناكثين وهم أصحاب الجمل لأنهم نكثوا بيعتهم للإمام عليه السلام واستحلوا حرمات الله والمارقين وهم الخوارج الذين مرقوا من الدين كما تمرق الرمية من السهم فقد اضطر الإمام عليه السلام إلى مقاتلتهم وفرض رسالته ولو كره الشانئون له ولو سكت الإمام علي عليه السلام عن مقاتلتهم لفشلت أطروحة إصلاحه وتعثرت دعوته وتلكأت مسيرة الإصلاح التي دعا لها الإمام عليه السلام. لا ننسى ما جرى للإمام الحسين عليه السلام من بني أمية، فحينما دعا الإمام عليه السلام للإصلاح في أمة جده عارضه الأمويون وسفكوا دمائه ودماء أهل بيته وحالوا بينه وبين ماء الفرات واستعملوا أسوء أساليب التشكيك من اجل إجهاض مشروعه الإصلاحي، فهل يمكننا أن نطلق على الإمام الحسين عليه السلام صفة الدموية في ثورته الإصلاحية أم هي مقتضى تحركه المبارك؟

هكذا هي حركة الإمام المهدي عليه السلام، فان الإمام لم يدع للحرب والقتال، بل يدعو للسلم وعدم إراقة الدماء، إلا انه ما الذي سيفعله الإمام حينما يواجه معارضة عظيمة من قبل مناوئيه وأعدائه الذين لا يرغبون في مثل هذه الحركات الإصلاحية لأنها ستكون على حساب وجوداتهم ودولهم الباطلة، والإمام عليه السلام يستعمل معهم أسلوب الحوار ولا يريد أن يقاتلهم إلا انه أخيرا يضطر للدفاع عن نفسه وعن أصحابه فيرد عليهم ويقاتلهم ويستأصل شأفتهم، فالإمام المحمدي عليه السلام إنما يقاتل من اجل الدفاع وليس من اجل سفك الدماء والقتال.

إن الذين يريدون أن يصوروا الإمام المهدي عليه السلام انه يقتل من الناس مقتلة عظيمة كما يردد مثل هذه الأقوال بعضهم فهو إما جاهل بحركة الإمام السلمية، وإما يريد تشويه حركة الإمام الإصلاحية.

علينا إذن أن نتروى في قراءة كل ما يتعلق بحركة الإمام وشؤونه الخاصة في حركته وظهوره، وعلينا كذلك أن نعرف من أين نأخذ معارفنا وأن لا نستمع لأي حديث لا نعرف مصدره فلعل ذلك يشكل إساءة للإمام عليه السلام ونحن نظن أننا أحسنا التصرف مع الإمام، إذن علينا أن نتعامل مع الإمام المهدي عليه السلام ومع قضيته بصدق وبدون أي اضطراب في الحصول على معلوماتنا ومعارفنا تجاه الإمام (عجل الله فرجه) ■

التائبون..

توبة النعمان بن امرئ القيس

النعمان بن امرئ القيس الأكبر، وهو الذي بنى الخورنق، ركب يوما فأشرف على الخورنق، فنظر إلى ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحداً أوتي مثل ما أوتيت؟

فقالوا: لا، إلا رجل منهم ساكت لا يتكلم، وكان من حكمائهم.

فقال له: مالك لا تتكلم؟

فقال: أيها الملك، إن أذنت لي تكلمت.

فقال: تكلم.

قال: أرأيت ما جمعت، أشيء هو لك لم يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن كان قبلك وزال عنه وصار إليك وكذلك يزول عنك؟ قال: لا، بل كان لمن قبلي فزال عنه وصار إلي وكذلك يزول عني.

قال: فسررت بشيء تزول عنك لذته غداً وتبقى تبعته عليك؟! تكون فيه قليلاً وترتهن فيه كثيراً طويلاً؟! قال: فبكى وقال له: أين المهرب؟

قال: إلى أحد أمرين: إما أن تقيم فتعمل بطاعة ربك، وإما أن تلقي عليك أمساحاً، ثم تلحق بجبل وتفر من الناس وتقيم وحدك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك.

قال: فإذا فعلت ذلك فما لي؟

فقال: حياة لا تموت: وشباب لا يهرم، وصحة لا تسقم، وملك جديد لا يبلى.

فقال له: أيها الحكيم! فكل ما أرى إلى فناء وزوال؟ قال: نعم.

قال: فأي خير فيما يفنى؟ والله لأطلبن عيشاً لا يزول أبداً. قال: فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وسلم وسار في الأرض. وتبعه الحكيم، فعبدا الله جميعاً حتى ماتا. وهو الذي يقول فيه عدي بن زيد الشاعر:

وتذكر رب الخورنق إذ
أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك
والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما
غبطة حي إلى الممات يصير

كتاب التوابين، عبد الله بن قدامه/ ٤٢-٤٣

أحمد بن علي النجاشي

(٣٧٢ - ٤٥٠ هـ)/ (٩٨٢ - ١٠٥٨م)

الشيخ حميد البغدادي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

هو الشيخ الجليل المتمرّس في علم الرجال والمحقق الأكبر فيه أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن عباس بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله النجاشي والي الأهواز بن غنيم أو عثيم بن أبي السمال سمعان بن هبيرة الشاعر بن مساحق بن بجير بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن اليسع بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ذكر في الصحاح: أنّ النجاشي ـ بالفتح ـ اسم ملك الحبشة[1].

وقــال الفيروز ابادي في القاموس في مادّة النجش: (والنجاشــي - بتشــديد الياء وبتخفيفهــا أفصح ويكســر نونهــا أو هو أفصح - أصحمةُ ملكُ الحبشة)[٢].

وعن أبي الحســن ســليمان بن الحسن الصهرشتي[٣] في قبس المصباح: أحمد بن علــي بــن أحمد بــن النجاشــي الصيرفي المعروف بابن الكوفي[٤].

وفــي رجال الســيد بحر العلــوم: ان وصفه له بذلك لا يقتضي المغايرة للنجاشي المعــروف إذ ليس في كلام غيره ما ينافيه وهو لمعاصرته له أعرف بما كان يعرف به في ذلك الوقت.

كنيته

أبو العباس و أبو الحســين، قال السيّد ابــن طاووس في أوّل كتاب رجاله - على ما نقلــه صاحب المعالم فــي ديباجة التحرير الطاووســي _: وقد عزمــتُ أن أجمعَ في كتابي هذا أســماء الرجال من كُتب خمسة: كتابِ الرجال لشيخنا أبي جعفر محمّد بن الحســن الطوســي - إلى أن قال _ وكتابِ أبي الحســين أحمد بن العبّاس النجاشــي الأسدي[٥].

وذكــرَ ذلك العلامة في ترجمة الســيّد المرتضــى حيث قال: أنّه تولّى غُســله أبو

الحسين أحمد بن العبّاس النجاشي[٦].
وكناه العلّامة﵀ ايضاً بأبي العباس[٧].

ولادتـه

ولد النجاشي في سنة ٣٧٢هـ في مدينة الكوفـة[٨] وكان أبـوه من محدثي الشـيعة المعروفين.

يؤيد كون ولادته في هذه السـنة أو ما يقاربها، أن النجاشي﵀ كان يحضر مجلس هارون بن موسـى التلعكبري المتوفى سنة ٣٨٥هـ، ويدخل مع ابنه محمد بن هارون فـي بيته عندما يقرأ الناس عليه. ذكر ذلك فـي ترجمته (ترجمة رقـم ١١٨٧)، وأيضا إدراكـه﵀ ولقائه لكثير مـن أكابر عصره، كما ستقف عليه إن شاء الله.

أسـرته

جـده عبـد الله النجاشـي كان واليـاً علـى الأهواز وقد كتب رسـالة إلى الإمام الصادق﵇ وكتب إليـه الإمام جواباً وهي (الرسالة الأهوازية).

و أسـرته آل أبي السـمال من الأسـر الكبيرة والمعروفة في الكوفة.

قال السـيد بحر العلـوم في رجاله: آل أبي السمال بيت كبير بالكوفة قديم التشيع وفيهم العلمـاء والمصنفون ورواة الحديث مـن زمن عبـد الله صاحب الرسـالة إلى النجاشي صاحب الرجال.

من أقوال العلماء فيه

عن كتاب قبس المصباح للصهرشـتي: أنّه كان شيخاً بهيّاً، ثقةً صدوقَ اللسان عند المخالف والموافق[٩].

وجـاء في رجال السـيد بحـر العلوم: أحمد بـن علي النجاشـي أحد المشـايخ الثقات والعدول الإثبـات من أعظم أركان الجرح والتعديل وأعلم علماء هذا السـبيل اجمع علماؤنـا على الاعتماد عليه وأطبقوا على الاسـتناد في أحوال الرجال إليه وقد صرح بتعظيمه وتوثيقه العلامة وغيره ممن تقدم عليه أو تأخر وأثنوا عليه بما ينبغي أن يذكر وان أغنى العلم به عن الخبر[١٠].

قال السـيد الداماد في الرواشـح: انّ أبا العبّاس النجاشي شـيخنا الثقة الفاضل الجليـل القـدر، السـنَد المُعتمـد عليه، المعـروف أحمد بـن عليّ بـن أحمد بن العبّـاس بن محمّد بن عبد اللّه بن إبراهيم بن محمّد بن عبد اللّه بن النجاشـي، الذي ولي الأهواز[١١].

وفي شرح مشيخة الفقيه للمولى التقيّ المجلسـي أنّه وثّقه العلّامة (عليه الرحمة) بـل أكثر الأصحاب، لأنّهـم يَعتمدون عليه في الجـرح والتعديل، وهو ثَبْتٌ كما يظهر من التتبّع[١٢].

وفـي مقدمـة كتـاب البحار فـي أوّل الكتـاب عند ذكـر الكتب المأخـوذ منها: وكتاب معرفة الرجال والفهرست للشيخين الفاضليـن الثقتين: محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشّـي، وأحمد بن عليّ بن أحمد بن العبّاس النجاشي[١٣].

وفـي الأمـل: أنّ أحمـد بـن العبّاس النجاشـي ثقـةٌ، جليل القـدر، يروي عن المفيد[١٤].

وفـي تعليقـات العلّامـة البهبهاني في ترجمة إبراهيم بن عمر: (أنّ النجاشي في غاية الضبط ونهاية المعرفة)[١٥].

وعن الوجيزة: أنّه ثقة مشهور[١٦].

وفي أعيان الشيعة: العالم النقاد البصير المضطلـع الخبير الذي هو أفضل من خط فـي فن الرجـال بقلـم أو نطـق بفم فهو

الرجل كل الرجل لا يقاس بسواه ولا يعدل به من عداه كلما زدت به تحقيقا ازددت به وثوقا وهو صاحب الكتاب المعروف الدائر الذي اتكل عليه كافة الأصحاب إلى أن قال وبالجملة فجلالة قدره وعظيم شانه في الطائفة أشهر من أن يحتاج إلى نقل الكلمات[١٧].

سفراته

لقد أمضى أحمد بن علي النجاشي أكثر عمره في مدينة بغداد وسافر عدة مرات لزيارة المراقد المقدسة ومن جملة أسفاره سفرته سنة ٤٠٠هـ إلى النجف الأشرف حيث بقي مدة من الزمن بجوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وعند ذلك لقى شيخه الجليل الحسين بن جعفر بن محمد المخزومي الخزاز المعروف بابن الخمري، وسمع منه (ذيل ترجمة رقم ٥٨٧)، وأجازه في المشهد الغروي الشريف بروايته كتاب عمل السلطان لأبي عبد الله البوشنجي الحسين ابن أحمد بن المغيرة، كما نص عليه رحمه الله في ترجمته (ترجمة رقم ١٦٥).

ودخل الكوفة مراراً، قال في ترجمة جعفر بن بشير البجلي (ترجمة رقم ٣٠٤): وله مسجد بالكوفة باق في بجيلة إلى اليوم، وأنا وكثير من أصحابنا إذا وردنا بالكوفة نصلي فيه مع المساجد التي يرغب في الصلاة فيها.

وكان قد سافر أيضاً إلى سامراء وتشرف بزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام. وبها سمع من القاضي أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف نسخة كتاب محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، كما نص رحمه الله عليه في ترجمته (ترجمة رقم ٩٥٤).

ولعل وفاته رحمه الله بمطير آباد كانت بعد هذه الزيارة، ورجوعه من سامراء إلى تلك الناحية.

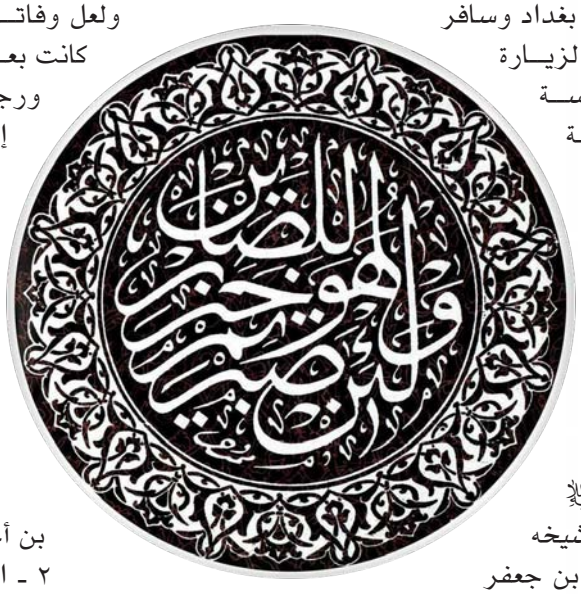

أساتذته

لقد سمع النجاشي رحمه الله الرواية من كثير من العلماء ومن جملة هؤلاء:

١ ـ أبوه علي بن أحمد النجاشي

٢ ـ الشيخ المفيد وهو المراد بقوله شيخنا أبو عبد الله وقوله محمد بن محمد ومحمد بن النعمان.

٣ ـ أحمد بن عبد الواحد البزاز، المعروف بابن حاشر.

٤ ـ أحمد بن علي السيرافي.

٥ ـ ابن الغضائري الحسين بن عبيد الله وابنه احمد بن الحسين.

٦ ـ هارون بن موسى التلعكبري وابنه أبو جعفر بن هارون.

٧ ـ أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندي.

٨ ـ محمد بن علي بن يعقوب بن إسحاق بن أبي قرة القناني أبو الفرج الكاتب.

من تلامذته:

١ ـ شيخ الطائفة الشيخ الطوسي.

٢ ـ الشيخ أبو الحسن الصهرشتي.

٣ ـ السيد عماد الدين بن معبد الحسني المروزي.

مؤلفاته

ما وصل إلينا من كتب النجاشي هو ما يلي:

١ ـ كتاب الجمعة وما ورد فيه من الأعمال.

٢ ـ كتاب الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل.

٣ ـ كتاب أنساب بني نصر بن قعين.

٤ ـ كتاب مختصر الأنواء ومواضع النجوم.

٥ ـ كتاب الرجال أو فهرست أسماء مصنفي الشيعة.

وفاته

توفي هذا العالم الجليل والرجالي الخبير والنسابة البارع سنة ٤٥٠هـ[١٨] في مطيرآباد[١٩] من نواحي سامراء وعاش ٧٨ عاماً ملؤها الخير والبركة والعطاء.

لا بأس بالإشارة إلى أن الموجود في ترجمة محمد بن الحسن الجعفري (ترجمة رقم ١٠٧٠) انه مات يوم السبت ١٦ رمضان ٤٦٣هـ، أي بعد ١٣ سنة من وفاة النجاشي ولعلها إضافة من النساخ فيما بعد.

وأول من أشار إلى تاريخ و محل وفاته هو العلامة الحلي في خلاصته ولم يتعرض له احد قبله في مصادر الشيعة لفقد كثير منها وكذلك مصادر السنة لتجاهلهم للكثير من علمائنا وروائنا وهو واضح للمتتبع.

وجاء في رجال السيد بحر العلوم: (توفي قبل الشيخ بعشر سنين لأنه توفي ٤٦٠هـ وكان قد ولد قبله بثلاث عشرة سنة وقدم الشيخ العراق وله ثلاث وعشرون سنة وللنجاشي ست وثلاثون وكان السيد الأجل المرتضى رحمه الله أكبر منه بست عشرة سنة وأشهر وهو الذي تولى غسله ومعه الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز كما ذكر في ترجمته).

مطالعات في فهرست النجاشي

كتابه المشتهر برجال النجاشي واسمه فهرست أسماء مصنّفي الشيعة على ما ذكره في أوّل الجزء الثاني، وقد ذكر السبب الذي دعاه لتأليف هذا الفهرست قائلاً: (فإني وقفت على ما ذكره السيد الشريف (أطال الله بقائه وأدام توفيقه) من تعيير قوم من مخالفينا أن لا سلف لكم ولا مصنّف، وهذا قول من لا علم له بالناس ولا وقف على أخبارهم ولا عرف منازلهم وتاريخ أهل العلم ولا لقي أحداً فيعرف منه، ولا حجّة علينا لمن لم يعلم ولا عرف، وقد جمعت من ذلك ما استطعته ولم أبلغ غايته لعدم أكثر الكتب، وإنّما ذكرت ذلك عذراً إلى من وقع إليه كتاب لم أذكره)[٢٠].

ويتميّز هذا الكتاب بميّزات منها:

١ـ تعرضه لترجمة أكثر من (١٢٤٠) راويا ووثق أو مدح (٦٤٠) وضعف ما يقارب (١٠٠) وغالباً ما يوثّق بلا نسبة ويضعف بنسبته إلى الغير وقد وثّق جماعة في غير تراجمهم[٢١]. وقد تعرض في كتابه هذا للجرح والتعديل

لأغلب الرواة الذين ذكرهم فيه.

٢ـ انّه مختص على ما ذكر في ديباجة الكتاب بمصنّفي الشيعة ولم يشذ عن هذا الاختصاص إلاّ نادراً كما في عبد اللّه بن بكير والسكوني مثلاً.

٣ ـ تثبته في مقالاته، وتأمله في إفاداته، فإنه أثبت علماء الرجال وأضبطهم، كما صرح به الكثير من العلماء الذين تعرضوا لذلك.

٤ـ دقّته في البحث واطلاعه الواسع خصوصاً في الأنساب والرجال.

٥ـ إنّ مشايخه من أجلاّء ونقّاد هذا العلم وقد أكسبه ذلك خبرة كثيرة، فمنهم الشيخ أحمد بن الحسين الغضائري، والشيخ أحمد بن علي بن عباس بن نوح السيرافي، والشيخ أحمد بن محمد بن الجندي، ومحمد بن علي بن يعقوب بن اسحاق بن أبي قرّة الكاتب، وقد انعكس هذا الامر على كتابه الذي دون فيه عصارة افكاره وخلاصة تحقيقاته، والذي يبدو واضحا للمتتبع المتأمل في صفحات الكتاب.

وهذه بعض النكات الذي يجدها المتتبع في هذا الكتاب الجليل والتي تكشف عن الدقة والتتبع عند مصنفه:

١ـ تعرض لأنساب الكثير من الرواة يربو على السبعين، وهذا كما يكشف بشكل جلي عن تبحره فقدّم ثروة مهمة للباحثين.

٢ـ تعرض أيضاً لذكر سنة الولادة او الوفاة لكثير من الرواة (يزيد على السبعين) وأفاد بذلك دارسي علم الرجال لتحديد الرواة وطبقاتهم.

٣ـ ذكر محل الوفاة أو السكن أو محل الرواية لأكثر من ثمانين راوٍ.

٤ـ تعرض لقصص مهمة وطريفة عند ترجمته لبعض الرواة التي تسلط الضوء على أمور لها أهميتها في تشخيص الرواة أو توثيقهم أو ما شابه ■

---

(١) الصحاح، ١٠٢١/٣، (نجش).
(٢) القاموس المحيط، ٣٠٠/٢، (نجش).
(٣) من مشاهير تلامذة شيخ الطائفة - عليه الرحمة - كما عن العلّامة المجلسي. وعن فهرست الشيخ منتجب الدين، فقيه درس قواعد الشيخ الطوسي، وجلس مجلس درس السيّد المرتضى.
(٤) حكاه عنه السيّد بحر العلوم في رجاله، ٤٠/٢، والحائري في منتهى المقال، ٢٨٧/١.
(٥) التحرير الطاووسي، ٢٥ من المقدّمة.
(٦) خلاصة الأقوال، ٢٢/٩٥.
(٧) خلاصة الأقوال، ٥٣/٢٠.
(٨) خلاصة الأقوال، ٥٣/٢٠.
(٩) حكاه عنه السيّد بحر العلوم في رجاله ٤٠/٢، والحائري في منتهى المقال ٢٨٧/١.
(١٠) رجال السيد بحر العلوم، ٣٥/٢.
(١١) الرواشح السماويّة، ص٧٦، الراشحة العشرون.
(١٢) روضة المتّقين، ٣٣١/١٤.
(١٣) بحار الأنوار، ١٦/١.
(١٤) أمل الآمل، ٢: ١٥ / ٣٠.
(١٥) تعليقات الوحيد البهبهاني، ص٢٤ـ٢٥.
(١٦) الوجيزة، ص١٥٢.
(١٧) أعيان الشيعة ٣/ ٣٢.
(١٨) خلاصة الأقوال، ٥٣/٢٠.
(١٩) ومطير آباد لم تذكر في المعاجم، لكن ذكر ابن الجوزي في المنتظم ١٨٠/٨ طبع الهند، وقال: (وقع وباء بالأهواز وأعمالها وبواسط وبالنيل ومطير آباد والكوفة. وورد في المعاجم كمعجم البلدان ١٥١/٥، قرية مطيرة، وهي من نواحي سامراء.
(٢٠) رجال النجاشي، ص٣ مقدمة الكتاب.
(٢١) وقد استخرجتها بالتفصيل ورتّبتها على شكل جدول راجع كتابنا، دراسات في علم الرجال.

لفضيلة نجومها

السيد محسن الأمين العاملي

(١٢٨٤ - ١٣٧١ هـ)/ (١٨٦٧ - ١٩٥٢م)

م. م. مجيد حميد الحدراوي •
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

ولد في قرية شقراء التابعة لناحية هونين من إعمال مرجعيون وبعد إن بلغ السابعة من عمره تعلم القرآن والكتابة على أفراد عائلته بعد أن رفض على حداثة سنه ما كان سائداً من تعليم لما فيه من قساوة بحسب تعبيره، فتولت والدته تعليمه القرآن، وتعلم الخط على شيوخ عائلته إلى إن ختم القرآن وتعلم الخط في مدة يسيرة حسبما ذكر ذلك في ترجمته لنفسه.

اتجه السيد محسن الأمين إلى دراسة مقدمات العلوم حيث شرع في قراءة علم النحو فابتدأ بحفظ متن الإجرومية

وإعراب أمثلتها غيباً، ودرس المنطق والمعاني وبعض كتب الفقه وكتاب معالم الدين في الأصول في مدارس جبل عامل على مشاهير علمائها أمثال الشيخ موسى شرارة، والشيخ جواد مرتضى والسيد محمد حسين الأمين. واستمر مثابراً على المطالعة والتدريس حتى عام ١٨٩٠م فقد اجتمع عنده عدة طلاب من جبل عامل وبلاد حمص يقرؤون في علم العربية من النحو و الصرف والبيان فيستفيدون من علمه، ويقول السيد محسن الأمين انه تيسر له خلال هذه المدة قراءة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

سفره إلى العراق سنة ١٨٩٠م

كان السيد محسن الأمين يتحرق شوقاً لطلب العلم في العراق وكان والده السيد عبد الكريم راغباً في ذلك إلا إن

عجزه وذهاب بصره وفقد المعين كلها أسباب تحول دون تحقيق الغاية السامية للسيدين إلا إن الله سبحانه وتعالى هيأ الأسباب في مدة قصيرة فسافر على بركة الله من شقراء في أخر يوم من رمضان سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م متوجهاً إلى العراق حيث مهوى الأفئدة في رحاب أولياء الله وأحبائه فما إن اكتحلت عيناه بمشهد الكاظمين حتى شمله الفرح والسرور، ومن بغداد توجه إلى سامراء لزيارة مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام.

وكانت سامراء يومذاك (تضج ضجيجاً بالعلماء والطلاب والزائرين وأرباب الحوائج) حيث اتخذ منها الميرزا محمد حسن الشيرازي مقراً لحوزته العلمية.

بعد سامراء توجه السيد محسن الأمين ألعاملي إلى ارض الفداء والتضحية إلى كربلاء الحسين عليه السلام حيث أدرك بها زيارة عرفة سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م وبعد إتمام الزيارة سافر السيد الأمين إلى النجف الأشرف مدينة سيد البلغاء وإمام الموحدين علي أمير المؤمنين عليه السلام متخذاً منها مقراً لإقامته حيث استأجر في محلة الحويش داراً وشرع في الدرس والتدريس وبقي فيها حتى عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م وتتلمذ فيها على مشاهير العلماء كالشيخ أغا رضا الهمداني والشيخ محمد طه نجف والشيخ ملا كاظم الخراساني والشيخ فتح الله الأصفهاني المعروف بشيخ الشريعة فعلى هؤلاء تخرج في الفقه والأصول وأجازه معظمهم.

سفره من النجف إلى الشام ١٣١٩هـ/١٩٠١م

بعد إن نال السيد محسن الأمين درجة الاجتهاد استدعاه محبي أهل البيت عليهم السلام من أبناء مدينة دمشق للإقامة فيهم مصلحاً واعضاً فلبى سماحته الطلب واستقر منذ خريف عام ١٩٠١م في حارة (الخراب) والتي أصبحت تعرف منذ نيسان عام ١٩٣٨م بـ(حي الأمين) وهو الاسم الجديد الذي أطلقته بلدية دمشق اعترافاً بفضل العلامة الكبير السيد محسن الأمين وجهوده الإصلاحية في الميادين الاجتماعية والثقافية فضلاً عن جهوده في التوعية الدينية.

أسس السيد محسن الأمين في عام ١٩٠٢م مدرسة للذكور تدرس فيها العلوم الوضعية فضلاً عن العلوم الدينية باسم المدرسة العلوية والتي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، وقام السيد المؤسس بتوسيع المدرسة وذلك عام ١٩٣٦م حيث اشتريت لها داراً ثانية في المحلة المذكورة أوسع وأفخم من الدار الأولى وبذل في ثمنها وإصلاحها (٢٠٠٠) ليرة عثمانية ذهبية. وأصبحت تعرف منذ ذلك التاريخ باسم المدرسة المحسنية نسبة لاسم مؤسسها الذي عمل على إيجاد أوقاف خاصة بها وأسس لها جمعية تشرف على سيرها وتؤمن نفقاتها، وقد خرجت هذه المدرسة عدداً كبيراً من الطلاب النابغين الذين حازوا مراكز سامية في خدمة الوطن والأمة.

بلغ عدد طلاب هذه المدرسة في عام ١٩٤٥م (٤٦٠) طالباً أكثرهم من الفقراء والأيتام، والمدرسة تعتني اعتناء خاصاً بالأمور الدينية والإسلامية والأخلاق والآداب واللغة العربية، وقد ألف لها السيد محسن الأمين سلسلة كتب في الدروس الدينية من الصف الأول الابتدائي إلى الصف السادس طبعت غير مرة وكان الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء قد زار هذه المدرسة وأخبرته إدارتها بان تلامذة المدرسة نالوا الشهادة الحكومية (بمعدل مائة بالمائة في الأغلب) وهذا دليل على تفوق المدرسة وتقدمها.

وأنشأ السيد محسن الأمين إضافة إلى هذه المدرسة مدرسة خاصة بالبنات اسماها (اليوسفية) وكان ذلك في عام ١٩٢٠م، وأراد بذلك إصلاح الأوضاع السيئة لعدم وجود مدرسة حديثة للإناث في سوريا وقتذاك إلا تلك المدارس المرتبطة بالإرساليات التبشيرية، ومن هنا تأتي أهمية تأسيس هذه المدرسة التي عملت على تخريج نساء لها تأثير في المجتمع الإسلامي.

أبرز مؤلفاته

تعد حياة السيد محسن الأمين صفحة مشرقة من الأعمال الصالحة وسفر خالد تقرا فيه الصلابة في المبدأ والاستقامة في السير والصبر على استقصاء الأمور والظفر، ولعل اثر ذلك يبرز في نتاجه الفكري والأدبي فقد أنتج كتباً قيمة بعضها يتعلق بالعقيدة والبعض الأخر بالآداب، وكان السيد محسن الأمين شعلة وهاجة من العمل المثابر ومثال بارز للجهاد العملي الصحيح، ويكفي للتدليل على حجم الجهود العلمية التي بذلها في هذا الميدان كتابة خالد الذكر (أعيان الشيعة) ومن ابرز الكتب التي

إلفها السيد محسن الأمين فضلا عن أجزاء الأعيان هي:

- أبو الحسين زيد الشهيد.
- أبو فراس الحمداني.
- البرهان على وجود صاحب الزمان.
- الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين.
- جناح الناهض إلى تعلم الفرائض.
- خطط جبل عامل.
- حق اليقين في التأليف بين المسلمين.
- الحصون المنيعة في الرد على صاحب المنار.
- كشف الارتياب في إتباع محمد بن عبد الوهاب.
- المجالس السنية.
- رحلات السيد محسن الأمين.
- الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم.
- الشيعة والمنار.
- سيرته بقلمه وأقلام آخرين.

هذا فضلاً عن عشرات المقالات المنشورة في الصحف والمجلات العربية وأكثرها على صفحات مجلة العرفان الصيداوية.

انتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٤٢م.

تجنب السيد محسن الأمين التورط في الأعمال السياسية مع انه كان يخالط الوطنين ويشاركهم آراءهم والى هذا المعنى يشير الأستاذ لطفي الحفار وهو وزير ورئيس وزراء سوري معاصر للسيد كان من كبار زعماء الحركة الوطنية في بلاد الشام سجن ونفي عدة مرات في عهد الانتداب الفرنسي وفي العهد الوطني استوزر غير مرة كما تولى رئاسة الوزارة، يقول الحفار عن دور السيد محسن الأمين في دعم الحركة الوطنية ما نصه: (كان الإمام السيد يدعو للثبات والتضحية والإخلاص في العمل ويبارك جهود العاملين ويدعو لهم بالقوة والتأييد وكم كنا نأنس بزيارته من حين إلى أخر لما نلاقي في أحاديثه الممتعة ودعاياته الوطنية المخلصة من التشجيع والتنشيط والحث على متابعة الجهاد في سبيل الله والوطن وتحقيق غايات البلاد في الحرية والاستقلال والدفاع عن كرامة الإسلام والمسلمين والتضامن مع مختلف الطوائف والمذاهب والتسامح والاتحاد ونبذ الضغائن والأحقاد. كان لنا نبراساً يضيء في المدلهمات وقبساً يشع نوره في مختلف الحادثات...).

ومن الجدير بالذكر أن السيد محسن الأمين له آراء إصلاحية جريئة سببت له الدخول في مناظرات حادة مع معارضيه. وفي الختام لابد من الإشارة إلى أن سيرة السيد محسن الأمين لا يمكن الإلمام بها بهذه السطور القليلة لأن حياة السيد كلها عطاء ثر في ميادين العلم والمعرفة ولا يمكن الإحاطة بها في هذه العجالة وحسبي ما ذكرت والله الموفق لما فيه الخير والصلاح ■

أحضر الناس جواباً..

كان السفاح يعجبه المحادثة، ومفاخرات العرب من نزار واليمن، والمذاكرة بذلك، ولخالد بن صفوان ولغيره من قحطان أخبار حسان، ومفاخرات ومذاكرات ومنادمات ومسامرات مع أبي العباس السفاح قد أتينا على مبسوطها وما اخترناه من غررها في كتابينا (أخبار الزمان) والأوسط، فأغنى ذلك عن ذكرها.

ومما ذكر من أخباره واستفاض من أسماره، ما ذكره البهلول بن العباس عن الهيثم بن عدي الطائي، عن يزيد الرقاشي، قال:

كان السفاح يعجبه مسامرة الرجال، وإني سمرت عنده ذات ليلة، فقال: يا يزيد، أخبرني بأظرف ما سمعته من الأحاديث.

فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن كان في بني هاشم؟

قال: ذلك أعجب إليَّ.

قلت: يا أمير المؤمنين، نزل رجل من تنُوخَ بحي من بني عامر بن صَعْصَعَة، فجعل لا يحط شيئاً من متاعه إلا تمثل بهذا البيت:

لعمرك ما تبْلى سرائر عامرٍ
من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فخرجت اليه جارية من الحي، فحادثته وآنسته، وسألته حتى أنس بها، ثم قالت: ممن أنت مُتَّعْتُ بك؟!

قال: رجل من بني تميم. فقالت: أتعرف الذي يقول:

تميم بُطْرق اللؤم اهْدى من القطا
ولو سلكت سُبْلَ المكارم ضلت
ولو أن برغوثاً على ظهر قمْلة
يكر على جمعي تميم لولَّتِ
ذبحنا فسمينا فتم ذبيحنا
وما ذبحت يوماً تميم فسمت
أرى الليل يَجْلوه النهار، ولا أرى
عظام المخازي عن تميم تجلت

فقال: لا والله ما أنا منهم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من عِجْلٍ، قالت: أتعرف الذي يقول:

أرى الناسَ يُعْطُونَ الجزيل، وإنما
عطاء بني عجل ثلاثٌ وأربعُ
إذا مات عجليُّ بأرض فإنما
يشق له منها ذراع وإصبع

قال: لا والله ما أنا من عجل، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني يشكر، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا يشكريٌّ مَسَّ ثوبك ثوبه
فلا تذكرن الله حتى تَطَهَّرَا

قال: لا والله ما أنا من يشكر.
قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني عبد القيس. قالت: أتعرف الذي يقول:

رأيت عبد القيس لاقت ذلا
إذا أصابوا بصلاً وخَلا
ومالحاً مصنعاً قد طلا
باتوا يسلون النساء سلا
سَلَّ النبيط القَصَبَ المبتلا

قال: لا والله ما أنا من عبد القيس، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من باهلة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ازدحم الكرام على المعالي
تنحَّى الباهليُّ عن الزحام
فلو كان الخليفة باهلياً
لقصر عن مناواة الكرام
وعرض الباهلي وان تَوَقَّى
عليه مثل منديل الطعام

قال: لا والله ما أنا من باهلة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني فزارة، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا تأمننَّ فزارياً خلوت به
على قَلوصكَ واكتُبها بأسيار
قوم إذا نزل الأضياف ساحتهم
قالوا لأمهم: بُولي على النار

قال: لا والله ما انا من فزارة، قالت: فممن أنت؟ قال: أنا رجل من ثقيف، قالت: أتعرف الذي يقول:

أضل الناسبون أبا ثقيف
فما لهم أبٌ إلا الضلال
فإن نسبت أو انتسبت ثقيف
إلى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحُشوش فقتَّلوها
فإن دماءها لكم حلال

قال: لا والله ما أنا من ثقيف، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني عبس، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا عَبسية ولدت غلاماً
فبشِّرها بلؤم مستفاد

قال: لا والله ما أنا من عبس، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من ثعلبة، قالت: أتعرف الذي يقول:

وثعلبة بن قيس شرُّ قوم
وألأمهم وأغدرهم بجار

قال: لا والله ما أنا من ثعلبة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من غنى، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا غَنَوية ولدت غلاماً
فبشرها بخياط مجيد

قال: لا والله ما أنا من غنى، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني مرة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا مُرِّيَّة خضبت يداها
فزوجها ولا تأمن زناها

قال: لا والله ما أنا من بني مرة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني ضبة، قالت: أتعرف الذي يقول:

لقد زرِقت عيناك يا ابن مكعبر
كما كل ضَبِّي من اللؤم أزرق

قال: لا والله ما أنا من بني ضبة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بجيلة، قالت:

أتعرف الذي يقول:

سألنا عن بجيلة حين حلّت
لنخبر أين قر بها القرار؟
فما تدري بجيلة حين تُدعى
أ قحطان أبوها أم نزار
فقد وقعتْ بجيلة بين بين
وقد خلعت كما خلع العذار

قال: لا واللّه ما أنا من بجيلة، قالت: فممن أنت ويحك؟!
قال: رجل من بني الأزدِ، قالت أتعرف الذي يقول:

إذا أزدية ولدت غلاماً
فبشرها بملاح مجيد

قال: لا واللّه ما أنا من الأزد، قالت: فممن أنت ويلك؟! أما تستحي؟! قل الحق، قال: أنا رجل من خُزاعة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا افتخرت خزاعة في قديم
وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهراً
بِزِقّ، بئس مفتخر الفخور

قال: لا واللّه ما أنا من خُزاعة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من لقيط، قالت: أتعرف الذي يقول:

لعمرك ما البحار ولا الفيافي
بأوسَعَ من فِقاح بني لقيط
لقيط شر من ركب المطايا
وأنذل من يدب على البسيط
ألا لعن الإله بني لقيط
بقايا سبية من قوم لوط

قال: لا واللّه ما أنا من لقيط، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من كندة، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ما افتخر الكنديُّ
ذو البهجة والطُّرَّهْ
فبالنسج وبالخف
وبالسدل وبالحفرة
فدع كِنْدَة للنسج
فأعْلى فخرها عره

قال: لا واللّه ما أنا من كِنْدَةَ، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من خَثْعَم، قالت: أتعرف الذي يقول:

وخَثْعَم لو صَفَرْتَ بها صفيراً
لطارت في البلاد مع الجراد

قال: لا واللّه ما أنا من خَثْعَم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من طيّئ، قالت: أتعرف الذي يقول:

وما طيّئ إلا نَبيطٌ تجمعت
فقالت طيانا كلمة فاستمرت
ولو أن حُرقوصاً يمدُّ جناحه
على جبلَيْ طيّ إذا لاستظلت

قال: لا واللّه ما أنا من طيّئ، قالت: فممن أنت؟ قال رجل من مُزَينة، قالت: أتعرف الذي يقول:

وهل مزينة إلا من قُبَيّلة
لا يُرتجى كرم فيها ولا دين

قال: لا واللّه ما أنا من مُزَينة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من النّخَع، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذ النخع اللئام غَدَوْا جميعاً
تأذّى الناس من وفر الزحام

وما تسمو إلى مجد كريم
وما هم في الصميم من الكرام

قال: لا والله ما أنا من النَّخَع، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من أوْدٍ، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا نزلْتَ بأوْدٍ في ديارهُم
فاعلم بأنك منهم لست بالناجي
لا تركننَّ إلى كهل ولا حَدَث
فليس في القوم إلا كل عفَّاجِ

قال: لا والله ما أنا من أوْدٍ قالت: فممن أنت؟ قال: أنا رجل من لَخْم، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا ما انتمى قوم لفخر قديمهم
تباعَدَ فخر القوم من لخم أجمعا

قال: لا والله ما أنا من لخم، قالت: فممن أنت؟ قال: أنا رجل من جُذَام، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا كأسُ المدام أديرَ يوما
لمكرمة تنحَّى عن جُذَامِ

قال: لا والله ما أنا من جذام، قالت: فممن أنت ويلك؟! أما تستحي؟ أكثرت من الكذب! قال أنا رجل من تَنُوخ، وهو الحق، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا تَنُوخٌ قَطَعَت مَنْهلا
في طلب الغارات والثار
آبت بخزي من إلهِ العلى
وشهرة في الأهل والجار

قال: لا والله ما أنا من تنوخ، قالت: فممن أنت ثَكِلَتْكَ أمك؟! قال: أنا رجل من حِمْير، قالت: أتعرف الذي يقول:

نُبِّئْتُ حِمْير تهجوني، فقلت لهم:
ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لأن حمير قوم لا نصاب لهم
كالعود بالقاع لا ماء ولا ورق
لا يكثرون وإن طالت حياتهُم
ولو يبول عليهم ثعلبٌ غرقوا

قال: لا والله ما أنا من حِمْير، قالت: فممن أنت؟ قال: أنا رجل من يُحَابر، قالت: أتعرف الذي يقول:

ولو صَرَّ صَرَّار بأرض يُحابر
لماتوا وأضحوا في التراب رميما

قال: لا والله ما أنا من يُحابر، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من قُشَيْر، قالت: أتعرف الذي يقول:

بني قشير قتلتُ سيدكم
فاليوم لا فِديةٌ ولا قَوَدُ

قال: لا والله ما أنا من قشير، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني أمية، قالت: أتعرف الذي يقول:

وَهيَ من أمية بنيانُها
فهان على الله فقدانُها
وكانت أمية فيما مضى
جريء على الله سلطانها
فلا آلُ حرب أطاعوا الرسول
ولم يتقِ الله مروانها

قال: لا والله ما أنا من بني أمية، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من بني هاشم، قالت: أتعرف الذي يقول:

بني هاشم عودوا الى نخلاتكم
فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم

فـــانْ قلـتم رهط النـبي محـــمد
فإن النصارى رهط عيسى بن مريم

قـــال: لا واللّه مـــا أنا من بني هاشـــم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من همدان، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا هـمدان دارت يوم حرب
رحاها فوق هامات الرجال
رأيتـــهمُ يحثُّون المطـايا
سراعا هاربين من القتـال

قـــال: لا واللّه ما أنا من همدان، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من قُضاعة، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا يفـخرنَّ قضـــاعيٌّ بأســـرتـه
فليس من يَمنٍ محضاً ولا مُضَر
مذبذبـين فلا قحطـــان والدهم
ولا نـزار، فخـلـوهم إلـى سـقر

قـــال: لا واللّه ما أنا من قضاعة، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من شـــيبان، قالت: أتعرف الذي يقول:

شـيبـان قـوم لهـم عديدُ
فكلـهم مُـــقـرف لئـيم
مـا فيـــهم ماجد حسيب
ولا نجـــيب ولا كـــريـم

قـــال: لا واللّه ما أنا من قضاعة، قالت: فممـــن أنت؟ قـــال: رجل من بنـــي نُمير، قالت: أتعرف الذي يقول:

فغضَّ الطرف إنك من نمير
فلا كـعبـاً بلـغت ولا كلابـا
فلو وضعت فِقـاحُ بني نمير
على خَبث الحديد إذاً لذابـا

قـــال: لا واللّه ما أنا مـــن نمير، قالت: فممـــن أنـــت؟ قال: أنـــا رجل مـــن تغلب، قالت: أتعرف الذي يقول:

لا تطـلبنَّ خؤولة في تغلب
فالزنـج أكرم منـهم أخوالا
والتغلبيُّ إذا تنحنح للقرى
حكَّ اسـته وتمثل الأمثالا

قـــال: لا واللّه ما أنا مـــن تغلب، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من مُجامع، قالت: أتعرف الذي يقول:

تبكي المغيبة من بنات مجاشع
ولهـــاً إذا سُمعت نهـيق حمـار

قال: لا واللّه ما أنا من مجاشع، قالت: فممن أنت؟
قـــال: رجل مـــن كلب، قالـــت: أتعرف الذي يقول:

فلا تقـربا كلبـــاً ولا بـاب دارهـا
فما يطمع الساري يرى ضوء نارها

قـــال: لا واللّه ما أنا من كلـــب، قالت: فممـــن أنت؟ قال: أنا رجل من تيم، قالت: أتعرف الذي يقول:

تيميّة مثل أنف الفيل مقبلها
تهدي الرحا ببنان غير مخدوم

قـــال: لا واللّه مـــا أنا من تيـــم، قالت: فممـــن أنت؟ قال: رجل مـــن جَرْم، قالت: أتعرف الذي يقول:

تُمنِّيني سويقَ الكرم جَرْم
وما جرم وما ذاك السويق؟
فما شربـوه لمـا كان حلا
ولا غالوْا به في يوم سوق

فلما أنـزل التحريمُ فيها
إذا الجرميُّ منها لا يفيق

قـال: لا واللّه ما انا من جـرم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من سـليم، قالت: أتعرف الذي يقول:

إذا مـا سليم جئتـها لغدائـها
رجعتَ كما قد جئت غرثان جائعا

قـال: لا واللّه ما أنا من سـليم، قالت: فممن أنت؟ قال: رجل من الموالي، قالت: أتعرف الذي يقول:

ألا من أراد الفحش واللؤم والخنا
فعند الموالي الجيد والطَّرفان

قـال: أخطـأتُ نسـبي ورب الكعبـة، أنـا رجل من الخوز، قالـت: أتعرف الذي يقول:

لا بـارك الله ربـي فيـكـم أبـداً
يا معشرَ الخوز إن الخوز في النار

قال: لا واللّه ما أنـا من الخوز، قالت: فممـن أنت؟ قال: أنا رجل من أولاد حام، قالت: أتعرف الذي يقول:

فلا تنكـحنْ أولاد حـام، فإنـهم
مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع

قـال: لا واللّه ما أنا من ولد حام، لكني من ولد الشـيطان الرجيـم، قالت: فلعنك اللّه ولعـن أباك الشـيطان معك، أفتعرف الذي يقول:

ألا يا عباد الله هذا عدوكم
وهذا عدوُّ الله إبليس فاقتلوا

فقال لها: هـذا مقام العائذ بك، قالت: قـم فارحل خاسـئاً مذمومـاً، وإذا نزلت بقـوم فلا تنشـد فيهم شـعراً حتى تعرف من هم، ولا تتعرض للمباحث عن مساوئ النـاس، فلكل قوم إسـاءة وإحسـان، إلا رسول رب العالمين، ومن اختاره اللّه على عباده، وعصمه من عـدوه، وأنت كما قال جرير للفرزدق:

وكنت إذا حللتَ بدار قوم
رحلت بخَزيةٍ وتركت عارا

فقال لها: واللّه لا أنشـدت بيت شـعر أبداً.

فقـال السـفاح: لئن كنـتَ عملتَ هذا الخبر ونظمت فيمن ذكرت هذه الأشـعار فلقد أحسـنت، وأنت سيد الكاذبين، وإن كان الخبر صدقاً وكنـت فيما ذكرته محقاً فإن هـذه الجارية العامرية لمـن أحضر الناس جواباً، وأبصرهم بمثالب الناس.

قال المسـعودي: وللسـفاح أخبار غير هذه وأسمار حسان قد أتينا على مبسوطها في كتابينا أخبار الزمان والأوسط.

مروج الذهب ٣/ ٢٧٢-٢٧٤

طروحات عامة

الأصول العامة لمناهج التربية والتعليم في العراق

د. حيدر نزار السيد سلمان ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

تشكل التربية والتعليم القاعدة الأساس في بناء الشخصية والبناء الاجتماعي. وأداة مهمة ومؤثرة في عملية التنوير الفكري، وتكوين ملاكات بشرية لإدارة الشؤون العامة والوظائف الإدارية بما يتناسب مع التطورات العلمية والتقنية الحديثة والمعاصرة حيث تضخ المؤسسات بالكوادر المتعلمة والقادرة على الإدارة والتطوير، ومن جانب آخر فإن التربية والتعليم تعيد صياغة فكر الفرد وبناءه الشخصي وهو ما يؤثر حتماً على سلوكياته وتصرفاته وعلاقاته ومواقفه ولذلك فقد جاء اهتمام الحكومات بما تحمله

مــن أيدلوجيات متنوعة بهذه المســألة كل حســب عقيدته السياسية والدينية وترتيب أوضاع التربية والتعليم على هذا الأســاس لتحقيــق نوعاً من الانســجام والتوافق بين الفكر الخاص بالدولة أو الكيان السياســي والفكر المنبعث من خلال العملية التعليمية بما يخــدم الأهداف التي تحــاول تحقيقها هــذه الدولــة أو تلــك وبهذا الإطــار فمن الممكن الإشارة إلى مثال الدول ذات النظام الشــمولي التي أخضعت التعليــم والتربية بشــكل مطلق إلى هيمنــة أيدلوجية خاصة بها تحاول ترويجها بوســائل متعددة ومنها هذا القطاع الحيوي والفاعل وتشكيل وعي جمعــي خاضع لسياســتها وفكرها ومنقاداً إلى توجهاتها متبعاً مواقفها مهما كانت وما أدت إليه من نتائــج ولدينا في هذا المجال العديد من الأمثلــة لعل أقربها إلينا وهو ما يدور في صلب موضوعنا السياســة البعثية القبيحة في العراق ولمدة خمســة وثلاثون عاماً نشــط فيها البعث بالسيطرة والهيمنة على وســائل ومصادر الفكر والثقافة ومنها المؤسســات التعليمية والتربوية وما قرره من مناهج لاسيما في الدراسات الإنسانية التــي جــاءت متناغمة مــع الفكــر البعثي المقيــت وأيدلوجيتــه المحطمــة والطامة للشــخصية والإرادة الحــرة والهادفــة إلى إخضاع الناس بشــكل كامل إلى سياسة هذا الحــزب وفكره المتناقــض تماماً مع هوية العراق الدينية وجــذوره الوطنية التاريخية والحقيقة أن هذه السياسات التعليمية ذات الجذور التاريخية ـ وهو ما سنشير إليه ـ قد ســببت صدعاً في البنيان الفكري والثقافي وضياعــاً في الهوية العراقيــة بين متاهات ومنحنيــات متعــددة ونســتطيع القول إنها أثرت فكرياً في التكوين النفسي والهوياتي لأجيال متعاقبة ما زالت متأثرة إلى حد كبير

بتنظيرات السياسة التعليمية البعثية وهو ما نراه ونشاهده من سلوكيات وتصرفات وتعاملات حياتية وفكرية عند البعض ممن خضعوا لهذا النموذج التربوي المشوه، والحقيقة أن الباحث والدارس للمناهج التعليمية لا يمكن له التعرف الكامل ومتابعة هذا الموضوع دون العودة للجذور الأولى لتشكل النظام التعليمي التربوي في العراق والذي ابتدأ مع تشكيل الدولة العراقية عام (١٩٢١).

كان تتويج فيصل بن الحسين ملكاً عن العراق بداية حقيقية لمرحلة جديدة في تاريخ العراق الخارج حديثاً من سيطرة الدولة العثمانية والواقع تحت سيطرة الاحتلال البريطاني، ولما كان النظام التعليمي العثماني قد امتاز بتخلفه وطائفيته المقيتة وتعامله البعيد عن المساواة في مسالة التعليم حيث الإقصاء المتعمد لشيعة العراق من دخول المدارس وتسلم الوظائف الحكومية مما دفع بالمدارس الدينية والحوزات العلمية وعلى رأسها المرجعية الدينية في النجف الأشرف أن تأخذ على عاتقها مهمة تعليم أبناء الطائفة وتزويدهم بالعلوم والمعارف سواء كانت الدينية أو العلوم الحديثة ثم جاء التطور الأبرز عندما نهضت مجموعة من المتنورين الشيعة في بداية القرن العشرين بواجب كبير حين تم تأسيس مدرسة لأبناء الشيعة في بغداد وهي مدرسة الترقي الجعفري[١]. وكان عدد كبير من الشخصيات ومنهم رجال دين قد ساهموا بفعالية في تأسيسها لنشر التعليم ولإيجاد كوادر علمية تعين في الأمور المالية والتجارية والحياتية، وأعتقد أن ذلك يشكل تحدياً واضحاً لسياسة الإبعاد والتهميش العثمانية المقصودة ضد شيعة العراق في وقت توفرت فيه الظروف وتهيأت لهذا النشاط المحدود عندما دب الضعف والخوار في جسد هذه الدولة، ولكن وصول فيصل إلى حكم العراق سجل نقطة تحول كبرى في السياسة التربوية والتعليمية وصياغة المناهج الدراسية فالملك فيصل قدم العراق تحفه حاشية كبيرة من الأتباع السياسيين والعسكريين والكثير من هؤلاء القادمين معه من العرب السوريين والفلسطينيين واللبنانيين والمصريين والحجازيين ومجموع الحاشية والطبقة السياسية الجديدة كانت اتجاهاتهم الفكرية والسياسية تنحو نحو الفكر القومي الطائفي المتشدد والمتعصب وهم أصلاً خريجي النظام التعليمي والتربوي العثماني فكان تشكلهم على هذا الأساس العثماني باعثاً على اتباع السياسة والنهج العثماني في بناء وقيادة الدولة الجديدة والاستمرار في السياسة السابقة القائمة على الإقصاء والتعامل بعقلية متماثلة للعقلية الإدارية والسلطوية العثمانية وقد تجلى ذلك في مظاهر ومواقف وسياسات متعددة شهدها التاريخ العراقي المعاصر[٢]. ونتيجة لما سبق فإن النظام التربوي والتعليمي بتفاصيله

وتفرعاته المنهجية خضع لأيدلوجية هؤلاء وتوجهاتهم المتناشزة مع الواقع الاجتماعي العراقي والتركيبة الديمغرافية العراقية بشكل أفقد النظام السياسي حسنه بناء ثقافة موحدة وقادرة على دمج العراقيين في بوتقة وطنية وتحقيق المساواة والعدالة وهذا ما أوجد شرخاً عميقاً في العلاقة بين الأكثرية الشعبية والسلطة الحاكمة ونوعاً من الخصام المستدام واحتدام الصراعات الفكرية والعقائدية التي سببها النظام التربوي التعليمي الجديد وكان البارز الأخطر في هذه التركيبة السياسية الفكرية الجديدة تبوء واحداً من أشرس القوميين المعادين لشيعة العراق المسؤولية الأولى في تنظيم وهيكلة التعليم والتربية وقيادتها ووضع مناهجها بروح متعجرفة وخطيرة حاولت ضرب الثقافة الخاصة بالأكثرية السكانية ضربات قوية وعنيفة بدعم وإسناد من المحتلين البريطانيين ومن الطبقة السياسية الجديدة وكان ذلك بتولي (ساطع الحصري) أمور التعليم والإشراف عليه والمعروف عن هذا الرجل السوري الأصل[٣] خدمته الطويلة في الإدارة العثمانية بوظائف متعددة وتأثره بالعقلية العثمانية المتعصبة ومن ثم تحوله الفكري باتجاه الفكر القومي وتأثره كذلك بالتنظيرات القومية الألمانية والفرنسية وصياغة هذا التأثر بكتب متعددة[٤] عبر فيها عن توجهاته ورؤيته للقومية العربية ودولتها المثالية، وعندما أصبح فيصل ملكاً على سوريا عام (١٩٢٠) عينه وزيراً للمعارف، وبعد طرد فيصل وإنهاء حكمه في سوريا من قبل الفرنسيين استقدمه معه إلى العراق ليتولى هذا المنصب الخطير والحساس.

اعتمد الحصري في وضع وصياغة المناهج الدراسية اعتماداً كلياً على مسألة ترسيخ الفكر القومي الطائفي وتأكيده عبر هذه المناهج ولاسيما ما يتعلق منه بمناهج التاريخ وهو الذي يشكل الركيزة الأساس في البناء الفكري والثقافي، حيث حاول الحصري تشكيل رؤية تاريخية موحدة لعموم العراقيين تستند عليها هوية وطنية كما يريدها هو والطبقة السياسية الجديدة معتمداً على الكتابة التاريخية[٥] والمناهج العربية والجغرافية على إبراز الأصول العربية والدور التاريخي للعرب وحضارتهم يعاونه في ذلك عدد كبير من المدرسين والمعلمين العرب[٦]. الذين تم استدعاؤهم لتلبية حاجة المدارس العراقية من الكوادر التعليمية المختلفة الاختصاصات والحقيقة إن هؤلاء قد أدوا دوراً خطيراً وتآمرياً إلى حد ما عند قيامهم بمهمات التدريس فقد شكلوا لوبياً مؤثراً سواء في السياسة العراقية أو في السياسة التربوية والتعليمية وكان الكثير منهم يتصرف وينشر فكره منحدراً من أصوله المذهبية والطائفية وبوقاحة نادرة دون اهتمام لمشاعر الأكثرية السكانية حيث وضعت المناهج ومقومات التدريس بما يتناقض تماماً مع المشاعر الدينية لشيعة العراق بل إن المناهج التاريخية تم صياغتها بروح طائفية بغيضة دون اعتبار لمشاعر العراقيين الدينية فكل ما فيها استفزازي ومدمر للبناء للاجتماعي ولعل هؤلاء الغرباء لم يبالوا بالوضع الاجتماعي العراقي وظروفه المختلفة عن البلدان التي قدموا منها فهم وبصلافة لم يترددوا في توجيه الاتهامات التاريخية الخطيرة إلى شيعة العراق واتهامهم بالشعوبية وللترويج لفكر قومي عنصري عدائي يستند إلى

أبعاد طائفية والتمجيد ببعض المقاطع التاريخية السوداء والشاذة كما هو الحال عندما ألف أحد هؤلاء المدرسين وهو السوري (أنيس النصولي) مقرراً دراسياً في التاريخ عن الدولة الأموية وتمجيدها والطعن بمعارضيها بشكل خبيث ووقح دون مراعاة لمشاعر شيعة العراق والنظر إلى تاريخ هذا البلد وتركيبته السكانية المتنوعة مما أثار الاعتراضات القوية والدعوات لإلغاء هذا المنهج المقرر وطرد هذا المدرس الطائفي[٧]. الذي استفز المشاعر وأثار العواطف وبالفعل فقد اتخذ السيد عبد المهدي المنتفكي وكان وزيراً للمعارف آنذاك قراراً حازما بطرد هذا المدرس وآخرين غيره على الرغم من اعتراضات البعض، وكانت هذه المحاولات التي فرضها على التعليم ساطع الحصري وأصحابه تهدف إلى ربط العراق بمشاعره وتفكيره بخارج النطاق العراقي[٨]. إلى وطن يشكل حلماً لابد أن يتحقق كما يتصور القوميون ويتم التمهيد له فكرياً وثقافياً ولو كان ذلك على حساب الأكثرية السكانية في العراق ومن الجدير بالإشارة هنا إلى إن هؤلاء قد نشروا وروجوا لفكرة العراق الذي سيقود العرب إلى الوحدة كما هو حال بروسيا التي حققت الوحدة الألمانية عام (١٨٧١) في عهد المستشار بسمارك فكان تمركز القومين من كل البلاد العربية في العراق وتأثيراتهم المدمرة على السياسة العراقية وعدم مراعاتهم للواقع التاريخي الاجتماعي للعراق قد شكل أمراً غريباً وعجيباً ما زال العراق يدفع ثمنه لحد الآن، والحقيقة أن الأصول العامة التي سار عليها نظام التربية والتعليم والمناهج المعتمدة استمرت على حالها مع استمرار السيطرة الكاملة للقوميين المتعصبين على حكم العراق وحتى بعد انتهاء سيطرتهم عام (٢٠٠٣) فما زالت المناهج الدراسية تفوح منها رائحة الطائفية والتمييز القومي وما زال طلبة المدارس والجامعات يقرؤون بمناهج ملغومة بأفكار بعيدة عن واقعهم فعلى سبيل المثال لا يزال التاريخ المكتوب بصياغته القومية والطائفية يروج للطائفيين على أساس كونهم رموزاً وطنية وأبطالاً وقادة يجب الاقتداء بهم كما هو حال التمجيد بشخصية غير عراقية متعصبة طائفياً وقومياً وتكاد مشاعرها تفضل الآخر على العراق الذي آواه ونعني به صلاح الدين الصباغ وهو أحد المشاركين في أحداث مايس عام (١٩٤١) وكذلك الحال مع رشيد عالي الكيلاني وآخرون من ذوي النزعة الطائفية في الوقت الذي يجري إهمال مقصود لشخصيات سياسية امتازت بوطنيتها ودفاعها عن حقوق الأكثرية السكانية وهويتها ويحدث ذلك لأن من كتب المناهج أراد التعتيم على البعض وعدم إبرازه بحقيقته في الوقت الذي يجري إبراز آخرين وتقديمهم للرأي العام كصور ناصعة ومؤثرة وخيّرة فعلى سبيل المثال

فإن صالح جبر الذي صلى عليه عند وفاته عام (١٩٥٧) المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم قدس سره كانت له علاقات مع المرجعية الدينية وظهر بمسؤولية في الدفاع عن شيعة العراق وحقوقهم وتعليم أبنائهم يتم تهميشه وإلصاق التهم به لأنه من الطائفة الأخرى التي ناصبها المستأثرون بالسلطة والمهيمنون على المناهج الدراسية العداء والأمر كذلك مع محمد فاضل الجمالي الذي تولى رئاسة الوزراء عام (١٩٥٣) وعمل بجد وصراع عنيف في مواجهة الحصري وأتباعه بغية نشر التعليم في المناطق الجنوبية والفرات الأوسط وعين أبناء هذه المناطق في المناصب والوظائف الحكومية ساعياً إلى تحقيق نوعاً من التوازن.

إن المناهج الدراسية ونظام التربية والتعليم لهما الأهمية الخطيرة في صياغة الأفكار وتشكيل الهوية الوطنية فما زال هذا النظام التعليمي يعطي الأولوية في مفرداته إلى خارج حدود العراق ويغطي مساحة قليلة من الشأن العراقي تاريخياً وجغرافيةً وأدباً وثقافةً وهذا ما يؤدي إلى ارتباط العراق روحياً بالخارج كجزء من تكوينه الثقافي وعلى هذا الأساس لابد من التعامل بجدية مع الخطورة الكامنة وراء موضوع التربية والتعليم ولابد من التركيز على الجانب المحلي وتعريف الطالب العراقي ببلده وتاريخه وثقافته بدل ربطه بثقافة هي بعيدة من نواحي عديدة، ولابد هنا وفي مجال كتابة المناهج التاريخية من مراعاة حقائق لابد من تدوينها.

وأعتقد كمثال على ذلك فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام يجب أن تكون عاملاً في توحيد الرأي العام العراقي وتصوراته وذاكرته التاريخية وتشكيل هويته الوطنية الموحدة من خلال إدخاله بالمناهج الدراسية وكذلك إبراز الرموز الأصيلة العراقية بدل الرموز الغريبة عن العراق والتي يتم جلبها من خارج الحدود.

إذن لابد هنا من التوقف وتشكيل اللجان لإعادة صياغة المناهج الدراسية وإبعاد التشوهات والعناصر الغريبة الدخيلة والاهتمام بالجانب المحلي العراقي بدل الاهتمام بالقومي العربي حتى لا تضيع ثقافتنا وهويتنا بين الخارج والداخل ويتحول العراقي إلى متلقي وخاضع لهيمنة البعض من القوميين المتشددين ويصبح اهتمامه بالقضايا الخارجية أكبر من اهتمامه بقضاياه الداخلية وحياته داخل الوطن ■

---

(١) تفاصيل أوفر حول هذه المدرسة ينظر: مذكرات رؤوف البحراني من عام (١٩٢٠-١٩٦٣).

(٢) للإطلاع على البنية الاجتماعية والأصولية للطبقة السياسية الجديدة القادمة مع فيصل وكذلك حالة الاستمرار في التعامل العثماني ينظر: غسان العطية العراق نشأة الدولة، حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية.

(٣) للتعرف على هذه الشخصية المثيرة للقلق والتساؤل في آن واحد ينظر:

(٤) حول فكره القومي ينظر: ساطع الحصري، أحاديث وآراء حول القومية.

(٥) لمعرفة نظرته للتربية والتعليم ينظر: ساطع الحصري، مذكراتي.

(٦) حول المدرسين العرب ودورهم الخطير ينظر: أحمد جودة، تاريخ التربية والتعليم في العراق.

(٧) لتفاصيل أكثر حول موضوع النصولي وتطورات القضية وكتابه المذكور ينظر: عبد الكريم الأزدي، مشكلة الحكم في العراق.

(٨) لابد من الإشارة إلى الدراسة الرائعة والمهمة التي تناولت التاريخ الثقافي العراقي والمعاصر في هذا السياق والتي كتبها (أريك دافيس) مذكرات الدولة.

طروحات عامة

فلسفة العقوبة في التشريع الإسلامي

أسعد عبد الرزاق فرج الله •

ينابيع

تواجه الشريعة الإسلامية تحديات كبيرة في حاضر تلبد بمختلف التيارات، ونتيجة لانحرافات خطيرة يمر بها التاريخ البشري، أصبح من الضروري السعي إلى تأصيل الكثير من أحكام التشريع واثبات قضية مسلمة عندنا ومرفوضة من قبل الآخرين، وهي انسجام الأحكام مع الفطرة الإنسانية واتساع ظلالها تحت مختلف الظروف الزمكانية، وشمولها لجميع أفراد البشر.

والعقوبة كانت من الأحكام التي تصدرت ساحات الجدل والنقاش حول فلسفتها وإمكان تطبيقها بالكيفية الثابتة

في التشـريع في وقت تشـيع فيه مفاهيم الحريـة وحقوق الإنسـان بشـكل عار عن المعايير المتكاملة.

مفهوم العقوبة

من الناحية اللغوية ينحدر لفظ العقوبة من العقب، والعقيب: مؤخر القدم[1] ومنه قيل: عاقبة كل شيء: آخره[2]، والعاقب: الذي يجيء في أثر صاحبه: ومنه قول النبي ﷺ: (أنا العاقب)، لأنه ختم الأنبياء[3].

أي أنهـا تشـير إلـى معنـى (الخاتمة) منتزعة من (مؤخر القدم) كخاتمة للجسم، أو منتزعة من (آخر كل شيء) أي خاتمته، لأن العقوبـة آخـر مـا يكون بعـد ثبوت الجريمة بالنسبة للقضية الجنائية.

وعلى هذا فإنها تعطي معنى الجزاء[4]، باعتبار أن الجزاء خاتمة للجريمة، إذ يكون آخر ما تختتم به كل قضية جنائية.

وقـد ورد لفـظ العقوبة باشـتقاقات عديـدة في القرآن الكريـم، كما في قوله تعالـى: (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَـبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْـهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)[5]، وقولـه تعالى: (اعْلَمُـواْ أَنَّ اللّهَ شَـدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ)[6]، وعشرات من الآيات القرآنية التي تتضمن لفـظ العقـاب، أما دلالاتها فعامة تشـمل العقاب الإلهي، الدنيوي والأخروي.

والعقوبـة فـي الاصطـلاح: (الجـزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع)[7].

أقسام العقوبات في التشريع الإسلامي

تنقسم العقوبات في التشريع الإسلامي عدة أقسـام، وذلك تبعاً لحيثيات متعددة، فهي من حيث محلها[8]:

١ـ عقوبات بدنية: تصيب جسم الإنسان كالجلد أو الضرب.

٢ـ عقوبات نفسية: مثل التوبيخ والتهديد.

٣ـ عقوبات مالية: كالدية والكفارة.

ومن حيث أصالتها وتبعيتها تقسم إلى[٩]:

١ـ عقوبات أصلية: كالحدود والقصاص.

٢ـ عقوبات تبعية: كحرمان القاتل من ميراث المقتول.

٣ـ عقوبات بدلية: كالدية إذا درئ القصاص.

٤ـ عقوبات تكميلية: كتعليق يد السارق في رقبته بعد قطعها حتى يطلق سراحه.

وتنقسم من حيث سلطة القاضي إلى[١٠]:

١ـ عقوبات ذات الحد الواحد: كالجلد.

٢ـ عقوبات ذات الحدين: كالجلد في التعازير.

ومن حيث وجوب الحكم بها[١١]:

١ـ عقوبات مقدرة: وهي التي لا يمكن إسقاطها كحد الزنا.

٢ـ عقوبات غير مقدرة.

وتنقسم أخيراً من حيث الجرائم وهو المتداول في كتب الفقه:

عقوبات حدية وعقوبات القصاص وعقوبات التعازير.

المبادئ العامة في تنفيذ العقوبة

هناك مبادئ تحكم العقوبة يتولى مراعاتها القاضي في حكمه بالقضية وتشخيص نوع العقاب، وهذه المبادئ:

١ـ مبدأ شرعية العقوبة:

يطلق مفهوم (شرعية العقوبة) بمصطلح قانوني آخر وهو (مبدأ قانونية العقوبات)، ويعني: أن المشرع وحده هو الذي يملك تحديد الأفعال المعاقب عليها (الجرائم) وتحديد الجزاءات التي توقع على مرتكبيها (العقوبات)[١٢]، أي أن العقوبة لابد من استنادها على نص حتى يتم تنفيذها من قبل الحاكم، فلا عقوبة من دون نص، وقد أقرت هذا المبدأ وثيقة حقوق الإنسان في المادة الثامنة عام ١٧٨٩[١٣].

والشريعة الإسلامية كانت الأسبق في إقرارها لهذا المبدأ، من خلال قوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)[١٤]، وبصورة غير مباشرة نستشعر من هذه الآية أن الحاكم ليس بوسعه تنفيذ أية عقوبة ما لم يكن لديه مستند شرعي ودليل في تنفيذ عقوبة معينة، فليس له مثلاً أن يغرم شخصاً كيف يشاء، أو يضرب مجرماً كيف يشاء من غير أن ينظر في جرمه والعقاب المقرر له، وقد ظن ـ خطأ ـ أن للقاضي الإسلامي صلاحية مطلقة في إقامة العقوبات، إلا أن الحقيقة تكون صلاحيته ضمن عقوبات التعزير مقيدة بضوابط وشروط منها عقلائية وعرفية.

والغرض الأول من مبدأ شرعية العقوبة هو ضمان حرية الأفراد، من ناحية كون الجريمة لابد لها من نص، وإلا لأصبح التجريم بيد القاضي مما يؤدي إلى نتائج وخيمة، وكذلك العقوبة من ناحية تحديدها وفق الجريمة.

٢ـ مبدأ شخصية العقوبة:

ويعني هذا المبدأ أن محل المسؤولية الجنائية هو الفاعل المختار لا غير، وهو مبدأ متبع في أغلب القوانين الوضعية، ولكن لم يرسخ إلا بعد مراحل تاريخية وتقنينية، فلم يعرف النظام الجنائي القديم هذا المبدأ، إذ سادته فكرة العقوبة الجماعية التي تشمل أسرة الجاني بالعقاب[١٥]، ومن أمثلة تلك العقوبات أن محكمة باريس أصدرت في ٢٧ مارس ١٦١٠م حكماً ضد المدعو (رافلاك) قاتل هنري الرابع، يقضي بإعدامه ونفي والديه خارج المملكة مع إعدامهما شنقاً إذا عادا إليها مجدداً[١٦]، ومن جهة أخرى كانت قوانين وضعية على عهد غير بعيد تجعل الحيوان والجماد محلاً للمسؤولية الجنائية، حتى أنها لم تفرق بين الإنسان الحي والميت[١٧].

والشريعة الإسلامية واضحة في إقرار هذا المبدأ، فلا يعاقب على الجرم إلا فاعله، ولا يؤخذ امرؤ بجريرة غيره، وقد بين القرآن الكريم هذا المبدأ العادل في قوله تعالى: (...وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...)[١٨]، وقوله تعالى: (...مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ...)[١٩].

٣ـ مبدأ عمومية العقوبة:

ووفق هذا المبدأ يكون الجميع متساويين تحت سلطة القانون، من دون أي امتيازات تمنح لهذا أو ذاك، فعندما يتلبس الفرد بفعل الجريمة تنفذ بحقه العقوبة من غير نظر إلى أي أطر طبقية أو عرقية أو غيرها، فقد تميزت النظم العقابية القديمة بعدم المساواة بين الأفراد من الناحية العقابية، وعلى أساس طبقي يتم التمييز في العقوبة، فمثلاً كان الإعدام ينفذ بطريقة قطع الرأس بالنسبة لشخص من طبقة النبلاء، وبالشنق إذا كان من عامة الناس[٢٠]، وكما في بعض القوانين المعاصرة التي تمنح بعض أقرباء السلطة حصانة دبلوماسية وبالتالي تختلف طرق عقابهم عن أي مواطن آخر، كما ذكر أحد الباحثين ما نصه القانون العراقي للعقوبات: قد يعفي التشريع الداخلي للدولة لاعتبارات تتصل بالمصلحة العامة، بنص صريح في بعض الأشخاص من الخضوع لقانون العقوبات[٢١]، وهؤلاء الأشخاص:

(١ـ أعضاء مجلس قيادة الثورة، ويعبر عنهم القانون العراقي السابق: (يتمتع رئيس مجلس قيادة الثورة ونائبه والأعضاء بحصانة تامة، ولا يجوز اتخاذ أي إجراء بحق أي منهم إلا بإذن مسبق من المجلس[٢٢].

٢ـ أعضاء المجلس الوطني، إذ منح الدستور المؤقت لجمهورية العراق أعضاء المجلس الوطني حصانة تجاه قانون العقوبات)[٢٣].

أما التشريع الإسلامي فواضح في تطبيق العقوبة بشكل عام من غير خصوصية لأحد، وكشاهد على هذا: روي جماعة جاؤوا إلى الرسول ﷺ يتشفعوا لامرأة سرقت، حتى قال ﷺ: (إنما هلك

الذيــن ممن كان قبلكم أنه إذا ســرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه)[٢٤].

ولابد من ملاحظة أساس المساواة في العقوبة، إذ هناك موارد متعددة للمساواة، فهل المســاواة مطلقة بين جنس البشــر، أم هنــاك محــددات يضعهــا القانون وفق اعتبارات معقولة، فالتشــريع الإســلامي يفــرق بيــن المســلم والكافر فــي عقوبة القتل، كما يفرق بين الرجل والمرأة والحر والعبد في نفس العقوبة، فهل هذا مخالف لمبدأ عمومية العقوبة؟

عندمــا نلاحــظ فلاســفة القانــون، نجدهم يؤكدون المســاواة المطلقة، وكما هــو الواضــح مــن قــول (بيكاريــا) ـ من رواد المدرســة التقليديــة ـ: (مادام جميع الأشــخاص متســاوين بشــكل مطلق فيما بينهم من حيث التمتع بحرية الاختيار إذن فمن الواجب المســاواة بينهم في العقوبة جميعاً)[٢٥]، ووفقاً للتشــريع الإسلامي فإن المســاواة لا تكون مطلقــة إلا في خضوع جميــع الناس إلــى العقوبة المقــدرة وفقاً لجســامة الجــرم، وإذا كان ثمــة تســاوي مطلق في العقوبة، فإنه سوف يتعارض مع التناسب الضروري بين الجرم والعقوبة.

أما اختــلاف عقوبة المســلم والكافر وعقوبــة الرجــل والمــرأة وعقوبــة الحر والعبــد، فإنــه وارد فــي بعــض الجرائم وخاضع إلى مبدأ تناسب الجرم والعقاب، والــذي يأخذ بعين الاعتبــار جوانب وعلل كثيرة في تشريع العقوبة.

فلسفة تشريع العقوبة

قبــل أن نخوض فــي مفاصل فلســفة العقوبــة لابــد من الإشــارة إلــى أن حكم العقوبــة في التشــريع الإســلامي يعد من الأحكام الأممية، أي أنــه موجه إلى جميع الأفــراد برغــم كونه يختــص بالجاني من ناحية تنفيــذه، إلى أنه يضمــن الكثير من حقوق الجماعات، لذلك فإن مجرد وجود الحكم في نصوص التشريع يعد رادعاً يعم الجميع.

ومن ثم لابد من تفصيل استبطان حكم العقوبة لجملة مــن الحقوق والمصالح من خلال العرض الآتي:

١ـ موقعية الحق في تشريع العقوبة:

الحق نقيض الباطل وجمعه حقوق[٢٦]، يقــال حــق الأمــر: صــح وثبــت، قــال تعالى:(لِيُنــذِرَ مَــن كَانَ حَيّاً وَيَحِــقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)[٢٧]، والحق خلاف الباطل، وهو اســم من أســماء الله تعالــى، وهو: الثابت بلاشــك. وهو: النصيــب الواجب للفــرد والجماعــة، وحقــوق الله ما يجب علينا له، وحقوق الــدار: مرافقه، كما في الوسيط[٢٨].

ويكــون الحق في الاصطــلاح هو: (ما ثبت في الشــرع للإنسان أو لله تعالى على الغير)[٢٩].

وللفقهاء المسلمين تقسيم للحقوق المتعلقة بتشريع العقوبة، فالمحقق الحلي يقسم الحقوق إلى: (حق الله سبحانه، وحق للآدمي والأول منه ـ أي حق الله ـ: ما لا يثبت إلا بأربعة رجال ـ أي شهود ـ: كالزنا واللواط والسحق ـ يريد عقوبتها ـ ... وحق الآدمي: ما يثبت: بشاهدين... وهو: ... والجناية التي توجب الدية)[٣٠].

والحق الإلهي في تشريع العقوبة حق غيري، فإذا كان يفهم من الحق وجود مصلحة لصاحبه، فإن الله غني عن المصالح، وعليه يمكن تقسيم الحق إلى:

أولاً: حق ذاتي، وهو الذي تتبعه مصلحة تعود على صاحب الحق، وليس لله تعالى حق من هذا النوع، لأنه الغني المطلق.

ثانياً: حق غيري، وهو الذي تتبعه فائدة ومصلحة تعود على الغير، ويمكن أن يكون حق رب العائلة مثالاً واضحاً عليه، إذ تعود فائدته على أفراد العائلة بالرعاية لهم وتدبير شؤونهم.

إذن يعد الحق الإلهي في تشريع العقوبات حق غيري، لأن المصلحة تعود على الخلق، مع كون الجناية تستبطن اعتداءين، اعتداء على حق الله في مخالفة أمره، وترتب مفسدة تعود على الجاني نفسه، واعتداء على حق العباد في ترتب المفسدة على وجودهم، وانتهاك مصالحهم.

٢ـ المصلحة في تشريع العقوبة:

أخذ مفهوم المصلحة موقع المركز، في كثير من الدراسات المهتمة بالتنظير الفقهي، وكان من أبرز الفقهاء اهتماماً بهذا الجانب هو الشاطبي إذ اعتبر أن (وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً، وهذه الدعوة لابد من إقامة البرهان عليها صحة أو فساد...)[٣١].

والمصلحة كما يعرفها الغزالي هي: (المحافظة على مقصود الشرع من الخلق، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعه مصلحة)[٣٢].

وقد عرف الشاطبي المصلحة بـ: (ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان وتمام عيشه ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية والعقلية على الإطلاق حتى يكون منعماً على الإطلاق)[٣٣]، وقال أبو سنة: (المصلحة هي النفع، أو المنفعة)[٣٤]، وهذا التعريف يرتكز على المعنى اللغوي، إلا أنه عام غير مخصص بما نحن بصدده، ويعرفها آخر بأنها: (درء المفسدة)[٣٥]، وهذا التعريف إنما هو بنفي الضد، إلا أنه يمثل مصداق من مصاديق المصلحة، فقد يكون جلب النفع مصلحة رغم عدم كونه درء مفسدة.

ولما كانت العقوبة حقاً من جانب، فإنها من جانب آخر تحقق مصلحة بذلك الحق، وكما أوضحنا سلفاً أن صاحب الحق ليس بالضروري أن تعود عليه المصلحة، وذكرنا أن هناك حق غيري تكون المصلحة فيه عائدة على غير صاحب الحق.

يهدف النظام العقابي الإسلامي إلى جملة من الأغراض والمصالح المختلفة، لا تختلف كثيراً عن الأغراض التي تسعى إليها القوانين الحديثة في تشريع العقوبات، إلا أن هناك اختلاف في شكل هذه العقوبات وطبيعتها وشروط تنفيذها، وأهم تلك الأغراض:

أولاً: تحقيق العدالة:

إن العقوبة في نظر التشريع الإسلامي عبارة عن جزاء عادل أو مقابل عادل للجريمة، ويظهر ذلك واضحاً في عقوبات الحدود إذ لا مجال للعفو والتعديل، ويؤكد ذلك قوله تعالى:(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٣٦]، والعدالة تمثل قيمة مجردة يشعر بها كل إنسان، إذ هي حاجة شعورية يشبعها تنفيذ العقاب في حق الجاني، وهي مطلب إنساني أساسي في عملية تكوين وبناء مجتمع صالح يتمتع بالأمن، وإذا نظر إلى تحقيق هذا الغرض بجدية تامة سوف تتحقق جميع الأغراض.

ثانياً: الكف من وقوع الجرائم:

إن جميع القوانين سواء كانت إلهية منها أو الوضعية تنشد الكف من وقوع الجريمة، إلا أنها اختلفت في الوسائل المؤدية إلى تحقيق هذا الغرض، فها هي المدرسة الوضعية قد أنكرت إلى حد ما مبدأ العقوبة، إذ حاولت أن تفتح مصحات عقلية للجناة في سبيل تحليل دوافع الإجرام، وبالتالي سوف يكون هذا الإجراء مطمئناً لكثير من المجرمين منحاً إياهم فرصاً كبيرة في تحقيق نوايا إجرامية.

وعلى أية حال سنحاول أن نحصر جميع أغراض العقوبة التي تعبر عن مصلحة ومنفعة اجتماعية تحت عنوان الكف عن الجريمة، وهناك خلط مفهومي في الكثير من الدراسات والبحوث التي كتبت في شأن أهداف العقوبة، وهو عدم التفريق بين غرض العقوبة وبين الوسائل التي تحقق ذلك الغرض، إذ غالباً ما نجد في بعض الدراسات أن من أغراض العقوبة: (تحقيق العدالة، الردع العام، والردع الخاص، واصلاح الجاني)، وعندما ندقق نجد أن جميع القوانين متفقة على أن الغرض من العقوبة هي القضاء على الجريمة وعدم تكرارها، إلا أن الاختلاف في الوسائل التي تحقق هذا الغرض، فالردع بالإيلام يعد وسيلة لمنع وقوع الجريمة، بل وإصلاح له في بعض الأحيان، لأنه ردع للجاني إذا كانت العقوبة دون القتل، وردع للناس من خلال تقديم الجاني عبرة لهم.

ولنا تقسيم ثنائي لوسائل تحقيق غرض العقوبة:

الأولى: وسيلة استئصالية:

وهي المتمثلة بعقوبات القتل، والتي تنظر للمجرم على أنه فيروس لابد من اجتثاثه خارج الجسم الاجتماعي، ويستفاد هذا المعنى ضمناً في قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٣٧]، إذ يكون الاستئصال ـ والحال هذه ـ مؤدباً إلى ضمان حياة المجتمع، وذلك وفقاً لحجم الجناية المرتكبة.

الثانية: وسيلة علاجية:

والمتمثلة بالعقوبات التي دون القتل، وهذه تمنع من وقوع الجريمة عن طريق الردع الخاص للجاني أولاً، والردع العام للآخرين ثانياً، ويمكن القول أن مجرد وجود العقوبات في المنظومة التشريعية يشكل رادعاً خفياً للآخرين ■

---

(١) العين، ج١ ص٣٨.
(٢) الصحاح، ج١ ص٤٨٣.
(٣) جمهرة اللغة، ج١ ص١٦٩.
(٤) سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
(٥) سورة الحج/٦٠.
(٦) سورة المائدة/٩٨.
(٧) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، ج٢ ص١٦٦.
(٨) نفس المصدر: ج٢ ص٥١٢.
(٩) نفس المصدر: ج٢ ص٥١٢.
(١٠) نفس المصدر: ج٢ ص٥١٢.
(١١) نفس المصدر: ج٢ ص٥١٢.
(١٢) علي حسين خلف، المبادئ العامة لقانون العقوبات، ص٣٠.
(١٣) د. سليمان عبد المنعم، النظرية العامة في قانون العقوبات، ص٥٨.
(١٤) سورة الإسراء/١٥.
(١٥) رؤوف عبيد، أصول علمي الإجرام والعقاب، ص٤٧٦، القاهرة، ١٩٧٧، ط١.
(١٦) د. فرج صالح الهريش، النظم العقابية، ص١٠٦.
(١٧) التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة، دار الكتب العلمية، فقرة ٢٨٠.
(١٨) الأنعام/١٦٤.
(١٩) النساء/١٣٢.
(٢٠) د. فرج صالح الهريش، النظم العقابية، ص١٠٦.
(٢١) علي حسين خلف، المبادئ العامة لقانون العقوبات، ص١١٥.
(٢٢) انظر: المادة ٤٣ من الدستور المؤقت، سيد صبري، مبادئ القانون الدستوري، ص١٨٧، القاهرة، ١٩٤٤.
(٢٣) انظر: المادة ٥٠ من الدستور المؤقت لجمهورية العراق والمادة ١٣٠ من الدستور المصري عام ١٩٥٦ وكذلك أغلب الدساتير الحديثة. نقلاً عن علي حسين الخلف، المبادئ العامة لقانون العقوبات، ص١١٦.
(٢٤) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، ج٢ ص١٣٢ مجلس المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
(٢٥) د. فرج صالح الهريش، النظم العقابية، ص١٣٣.
(٢٦) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ج١٠ ص٤٩، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
(٢٧) سورة يس/٧٠.
(٢٨) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ج١ ص٣٩٣.
(٢٩) أحمد فهمي أبو سنة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٤، ص١٧٥١.
(٣٠) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، جعفر بن الحسن الهذلي (المحقق الحلي)، ج٤ ص٤٠، الناشر: مؤسسة مطبوعاتي إسماعليان.
(٣١) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه،ج٢ ص٦، دار المعرفة، بيروت.
(٣٢) الغزالي، المستصفى من أصول الفقه، ج١ ص١٣٩-١٤٠.
(٣٣) نفس المصدر: ج٢ ص٢٥.
(٣٤) د. أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ج١ ص٣٩٣، الطبعة الأولى.
(٣٥) علي بن نايف الشحود، كتاب المفصل في الرد على الحضارة العربية، ج٧ ص٢٧٤.
(٣٦) المائدة/٣٨.
(٣٧) البقرة/١٧٩.

طروحات عامة

أثر النص المقدس في اتخاذ القرار المعماري

- **د. عبد الله سعدون المعموري**
  قسم الهندسة المعمارية/ الجامعة التكنولوجية
- **م. محاسن هادي خلف**
  استشاري وباحث/ وزارة الإعمار والإسكان

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)[1].

ينابيع رغم توصل البشرية إلى درجة متطورة من التقدم والتحضر فإن العناصر والعوامل المشكلة لتطور المدينة عمارة وعمرانا مازالت محل بحث ودراسة. فالعمارة هي أول فن أبدعه الإنسان ليغلف كل أنشطته

المعيشية وهي مرآة للمجتمع بكل حضارته وعاداته وتقاليده وقيمه، والوعي لاحتياجات المجتمع وإمكانات المكان والبيئة المحيطة والوسائل والأدوات التي تمكن من استيفاء الاحتياجات وتحقيق الأهداف في ظل ضوابط ومحددات المكان والموارد والقيم الاخلاقية المستوحاة من الايديولوجية التي يعتمدها المصمم في إتخاذ القرار المعماري، ومع الابتلاء بداء التخلف والتبعية إلى الحضارة الغربية، راح أصحاب الاختصاص في هذا الميدان ينهلون من منابع التغريب وإسقاط النظريات ومدلولات المدارس المعمارية الغربية على العمارة العربية الإسلامية، مقتصرين في دراستها على التحولات والتغيرات التي طرأت على عناصر العمارة الاسلامية عبر الدول والحضارات المتعاقبة، دون التعمق في دراسة لب هذا التغير وأثره على المجتمع إبان تلك الحقبات على السلوك وتنظيم المحيط، فالمعماري المسلم الذي يبحث عن هوية، قد يكون بحثاً في فراغ، ما لم يتم العودة إلى الإسلام، كنصوص مقدسة وتاريخ، انه الكنز الحقيقي الذي لا ينفذ، وإستثماره يعطي الكثير بفضل غناه الروحي وقيمة الإنسانية ومناجمه الحكيمة. وهو ليس إسلام بعض المسلمين الذين حولوه إلى قشور ونزاع فكري، بل الإسلام الذي أمر به القرآن ولخصته تجارب الأمة في قرون التقدم والانطلاق

والتطـور. فالمنهـج الذي يعتمـده متخذ القرار المعماري المسـتند الى النصوص المقدسـة سيكون ذا بعداً أخلاقياً واضحاً فيمـا لو تـم اسـتثمارها وتحويلهـا إلى علاقـات شـكلية ووظيفية لتتحـول فيما بينها لفراغات مدروسة تعكس في النهاية تشـكيل لبنية معمارية تحمل فكراً ووظيفةً منسجمة مع العلاقات التنظيمية.

العمارة والقرار في النص المقدس

يُعد الإنسـان موضوع وهدف أساسي فـي القـرآن الكريـم، لما حظـي به من كرامـة عند الله، ومكانة في الكون وقدرة علـى الخلافـة. وتتنـاول سـور القرآن الكريم جوانب شتى مما يرتبط بالإنسان والمجموعة البشـرية في إطـار عقائدي تـارة واجتماعي وتاريخـي وأخلاقي تارة أخـرى، وبهذا امتـازت النظرية القرآنية على غيرها من النظريـات. ويتجلى ذلك في الأبعاد التالية:

ـ الخلافـة فـي الأرض، أن الله تعالى جعل الإنسـان خليفته على الأرض، وبهذا امتاز الإنسـان علـى بقيـة المخلوقات، (وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّـي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَـةً)[٢]. وهـذه الخلافـة هـي الخلافـة التشـريعية فـي إدارة شـؤون الأرض وتصرف الخليفة فيها وفي نفسـه وفـي الكون المحيط بـه، كما أنها خلافة تكوينية في إعمار الأرض وإدارة شؤونها، والحركة والسلوك فيها.

ـ التفضيل والتكريم للإنسان على كثير من المخلوقـات، وهو ما يفهـم من أمر الله تعالـى للملائكة بالسـجود لآدم عليه السلام، والذي يعبر عن الخضوع والاعتراف بهذه الحقيقـة الإلهيـة، والموقـع المتميز لـه بالخلافة لله تعالى على الأرض، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)[٣].

ـ حمل الأمانة، فقد خصّ الله الإنسان بحمل الأمانة دون المخلوقات جميعاً، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)[٤].

ـ تسخير الموجودات للإنسان، وجعله قادراً على التصرف فيها، (اللَّه الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٥].

ـ يمكن اعتبار هذا التسـخير والقدرة عليـه شـعبة مـن شـعب الخلافـة وبعداً آخر فيهـا، والذي يعني إعطاء الإنسـان الإمكانات والقـدرات التي يحقق بها هذا التمكـن من الأرض والكـون المحيط به، تعبيراً عـن الخلافة التكوينية على الأرض ومن بينها قدرته على تسخير الموجودات فيها، والتي تمثل شيئاً من الامتداد للقدرة الإلهية في التصرف في الأرض والكون، بـالإرادة والاختيـار، والعقـل والعنايـة الربانية.

ـ الإنسـان محور التغييـر في الكون، وأن الله سـبحانه وتعالى ربط التغييرات الحياتية في هذا الكـون بالتغييرات التي تطرأ علـى الإنسـان ومحتـواه الداخلي (الروحي والنفسي) وهذه صفة وخصوصية تميز الإنسـان بها على بقية الموجودات، وهـذا يمثـل النتيجـة لبقيـة الامتيازات السـابقة ويعبـر عنهـا، فالتغييـرات الاجتماعية في الحياة الإنسـانية، ترتبط

بالتغييرات النفسية، والتغييرات الكونية ترتبط بالتغييرات الاجتماعية الكلية، (... إِنَّ اللَّه لاَ يُغَيِّـرُ مَـا بِقَوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...)[٦].

وخلاصة ذلك أن الإنسان يمثل المحور الأساس في هذا الكون، وقد أقرن الله سبحانه وتعالى في الغاية من وجود الإنسان على الأرض بين استعمار الأرض وتمكينه عليها، وعبادة الله سبحانه وتعالى فجاءت الغاية الأولى مرتبطة بالغاية الثانية ارتباط تكامليا، وفي قوله عز وجل (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُـمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَـوْمِ اعْبُدُواْ اللَّه مَـا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَـأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْـتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْـتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّـي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)[٧]. مما يعني أن التمكين يمنح المعماري حرية في تحديد القرار الصائب بموجب عملية التحليل ودراسة البدائل وذلك لإتساع خبرته في مجال عمله وقد جاء في القرآن الكريم آيات عديدة تمنح الانسان فيها حرية اتخاذ القرار بعد أن منحه الله التمكين والتسخير (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ من كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً)[٨] و (كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُـفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَـاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[٩].

ويتلخص وجود الإنسان في علاقات ثلاثة؛ علاقته بالله سبحانه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالمجتمع، وأن البنى المعمارية كفعل إنساني هي التجسيد الحي لهذه العلاقات التي تلخص وجوده على الأرض، لذا فالقرار المعماري الأول لرسول اللهﷺ في المدينة المنورة، وهي بناء مسجد قباء لتحقيق أولى غايات الإنسان وهي عبادة الله سبحانه وتعالى حيث يمثل المسجد قلب المدينة العربية الإسلامية، ثم القرارات المعمارية لبناء البيوت والمساكن، ثم الأسواق وهي الأماكن التي تتيح للمرء فيها ممارسة الفعل الحضري عن طريق الانفتاح والانتفاع، بما يحقق الاحتكاك والتبادل وتفعيل علاقاته بالمجتمع، فالقرار المعماري في روحه قرار إرادي مبرمج، له ضوابطه وغاياته وتتجلى أهميته في قيمته العقائدية والوظيفية والثقافية والتاريخية داخل المجتمع، ومدى تجسيده لقيمة الإنسان وكرامته، ويمثل إتخاذ القرار المعماري الهدف الأساسي لكل العمليات للوصول إلى منهج مناسب للتطوير أو إلى حل مشكلة ما، التي تتخذ عدة مراحل ووسائل، للوصول إلى الإقتراح الأنسب وإجراء التعديلات عليه حتى الوصول إلى القرار الصائب باعتماد مذهب أخلاقي من خلال فهم الاجزاء منفصلة في النصوص القرآنية، فمنهجية الاصول الكلية المنفتحة على المفاهيم هي التي تمكن من صياغة هذه الاخلاقيات لصنع القرار.

عناصر العمارة في النص المقدس

تُعرف العمارة في النص المقدس على إنها السكنى في بيئة مكانية محددة، لهدف معين، يتطور مع الزمن إلى تجمع بشري، يسوده الأمن و يتوفر على أسباب المعيشة. وأن توفر الإرادة والفعل والمكان والغاية عوامل أساسية في انشاء التجمعات الانسانية، وتحدد علاقة الإنسان بالمكان عدة عناصر مساعدة على الاستقرار والتطور:

ـ الأمـن؛ فغيابـه تهديـد للمجتمـع، وعاملا أساسيا في زوال الحضارات، لذا جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنـاً...)[10]. وأمن الإنسان يكشف الظروف التي تهدد البقاء وإدامة الحياة والكرامة الإنسانية، كالفقر والمـرض والتدهور، فأمن الإنسـان هو الضامـن لإسـتمرارية التنميـة البشـرية وهو شـرط مسبق لها، ومحدد لأولويات أهدافها العاجلة. والمراد بالأمن التشريعي دون التكويني، فإبراهيم عليه السلام يسأل ربه أن يشـرع لأرض مكة حكم الحرمة والأمن، فالأمـن صلـب الاسـتقرار ونواته، وهو اطمئنـان على الـروح والمـال والعرض وضمان لحقوق الإنسـان في الحياة، وهو أعظم النعم التـي أنعم الله بها على عباده وهذا الحكم الإلهي (حكم الحرمة والأمن) وتقديـس البيت العتيق ومـا أحاط به من حرم الله الآمن المترسخ في النفوس منذ أربعة آلاف سـنة حتى اليوم الذي عاد بما لا يحصى من الخيرات و البركات الدينية والدنيوية إلى أهلها وسائر أهل الحق ممن يحن إليهم و يتعلـق قلبه بهم، و قد ضبط التاريخ من ذلك شيئا كثيرا و ما لم يضبط أكثر فجعله تعالـى مكة بلدا آمنا من النعم العظيمـة التـي أنعم الله بها علـى عباده، ويتحقق هذا الأمن في الأضرحة المقدسة للأئمة المعصومين عليهم السلام.

ـ المعيشـة: توفـر أسـباب العيـش والاسترزاق، وتكاثره وهو ما عبر عنه في الآية الكريمة بالثمرات، وهي وفرة الخير وسـعته، وهو احد عناصر الاسـتقرار، وتطور الاجتماع.

ـ المواصلات: هي الاحتكاك والتبادل والتواصـل والتفاعـل مـع التجمعـات الحضرية الأخرى، فتتصهـر الثقافات، وتتشابك المصالح والآفاق، حينها تتأسس عملية التواصل والاستمرارية، وتنمو بذرة الاختـراع والابتـكار، فالتحضـر عملية مركبـة ومعقدة تتصهر فيهـا إبعاد ورؤى وقرارات عدة، ولا يمكـن البتة أن يتطور الحضـر من العدم أو في معزل عن جهود البشرية جمعاء، فالغاية الاسمى في عمارة الأرض هي التعارف بين الشعوب والقبائل

والأمم، لـذا (...فَاجْعَلْ أَفْئِـدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ...)[11] أي يتجهون نحوهم ليتم التبادل والتفاعل وتتشابك حركية المجتمع مع خاصية المكان لتشكل وجها من العمارة لفتـرة زمنية محددة بشـروط ومقومات وجودهـا. ومـن مصاديق الآيـة الكريمة الارتباط الروحي بين الإنسـان والأماكن المقدسـة في النجف الأشـرف وكربلاء والكاظميـة وسـامراء حيث العسـكريين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

ويختلـف ترتيب الحاجات الاساسـية للانسـان هـذه عمـا تطرحـه النظريات الغربية فقد وضع العالم النفساني ابراهام ماسـلو Maslow مخطـط الحاجـات الإنسـانية في تنظيم هرمـي متدرج طبقا للاولويات ابتداءً مـن الحاجة الملحة إلى الأقل إلحاحاً وهكـذا حتى أضعفها، وقد رتب تلك الإحتياجات كما يلي:

- حاجـات فسـيولوجية (الجـوع، العطش، المأوى...).
- حاجات التناسل والتكاثر (الإرتباط، الزواج، علاقات إجتماعية).
- حاجات الأمن والخصوصية (الحماية الطبيعيـة، الخصوصية، التأقلـم الذاتي ونمط البيئة الحضرية)
- حاجات انتمائيـة (الحاجة العضوية، الجماعة والعلاقات الشخصية)
- حاجات نفسية (احترام الذات، إضفاء الطابع الشخصي على البيئة الخاصة)
- حاجـات تحقيـق الـذات (مرتبطـة بالجمال والرغبة بالتعلم والنجاح...).

كمـا وأن Maslow رتـب الحاجـات للانسان بشكل هرمي متدرج، فالحاجات الفسـيولوجية تأتـي فـي التـدرج كأول

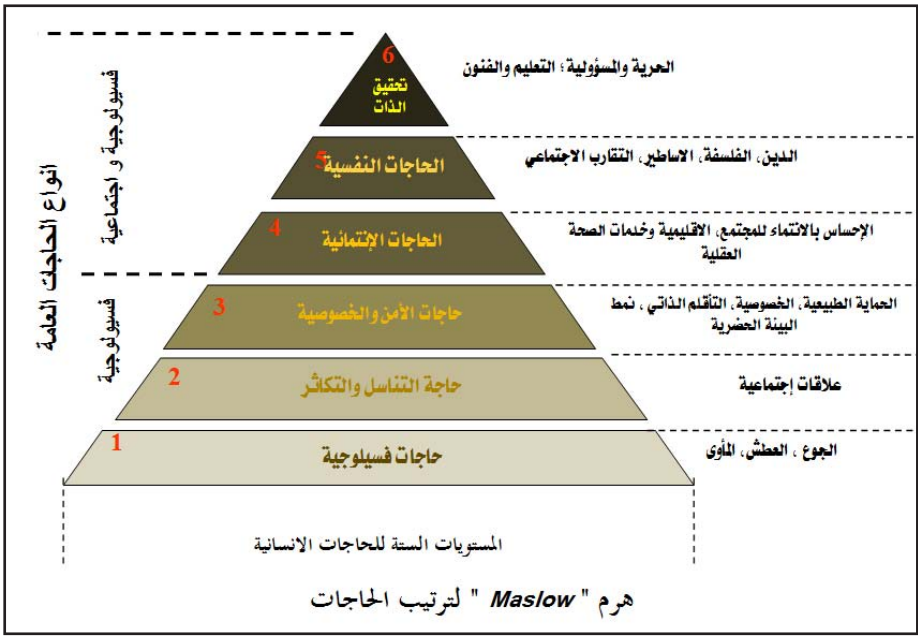

هرم "Maslow" لترتيب الحاجات

الحاجات المحركة لسلوك الإنسان، ولا تحرك سلوكه الحاجات الأخرى مثل الأمن والحاجات الاجتماعية وحاجات احترام الذات وتحقيق الذات مادامت تلك الحاجة لم يتم اشباعها لذا ستكون الحاجات الفسيولوجية هي المسيطرة على السلوك الانساني. وكذلك افتقار تلك النظرية الى الحاجات الروحية رغم أن الله سبحانه فطر الانسان على دين يتعبّده، فالإنسان يتكون أصلاً من مادة وروح، فكما للجسم غذاء واشباعات مادية فإن للروح غذاء يلائمها ويحييها حياة طيبة. وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام، قال (سألت أبا جعفر عليه السلام: (ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن) قال: ظهره وبطنه تأويله، ومنه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء تأويل شيء يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) نحن نعلمه). ويتطلب الوصول إلى تأويل القرار المعماري المرور بثلاث مراحل تتمثل في..

ـ الصياغة Formulation وتهدف إلى تطوير نموذج أولي للقرار.

ـ التقييم Evaluation، حيث يتم تقييم النموذج المصاغ في المرحلة الاولى واجراء التعديلات اللازمة وتنتهي هذه المرحلة بتوصية استخدام نموذج نهائي للقرار.

ـ التأويل Interpretation، حيث يتم تخمين التوصيات النهائية التي تمثل قاعدة الفعل، وتكتسب أهمية خاصة لما تمثله كمرحلة صياغة القرار.

تمنح النصوص المقدسة (معايير) و(مقاييس) و(موازين) (التعابير تختلف والمعنى واحد) هي بذاتها إنعكاس للقرار التي بها يمكن الوصول إلى اختيار اقرب الوسائل الى الهدف. وانتخاب الأمثل والأفضل من بين البدائل في تحقيق الاهداف، ففي حالة وجود وسيلتان كلتاهما قريبان الى الهدف، ولكن احدهما كانت أمثل من الناحية الاخلاقية (القيمية) من الثانية يكون انتخاب ذات القيم الاخلاقية بأعتبارها قراراً معمارياً أخلاقياً. والحكم على الاشياء إيها أحسن

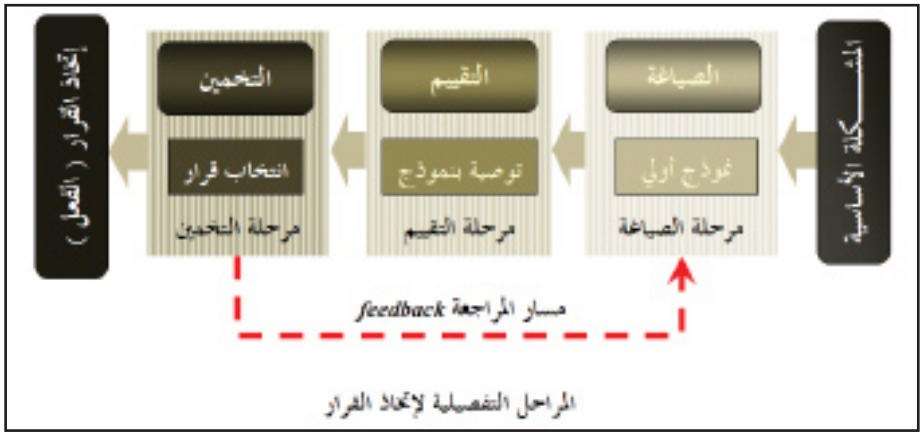

المراحل التفصيلية لإتخاذ القرار

وأنفع وعلى الأفعال أيها أفضل وأكثر خيراً للمجتمع.

أن القيم المرتبطة بالمطلق هي قيماً مقدسة مرتبطة بالحاجات الروحية، أما القيم المشرّوعة بموجب القوانين المدنية والإجتماعية، فهي تختلف من إنسان لآخر ومن مجتمع لآخر، لانها تتعلق بالحاجات المادية، ولكنها لا تكتسب صفة الشرعية ولا تصبح (خيراً) إلا إذا خضعت لمعايير النصوص المقدسة ليكون القرار المعماري الصادر متسماً بالأخلاقي:

١ـ ان يكون الحكم هو القيم الأخلاقية المطلقة المستنبطة من الوحي الإلهي ويُحدد على أساسه ما هو مرغوب فيه أو مفضل في موقف توجد فيه عدة بدائل.

٢ـ يتحدّد من خلاله اهدافاً معيّنة أو غايات ووسائل لتحقيق هذه الاهداف أو الغايات بموجب اقترابه من القيم.

٣ـ الحكم سلباً او ايجاباً على مظاهر معينة في ضوء عملية التقييم التي يقوم بها المصمم المعماري ليكون قراره أخلاقياً.

٤ـ التعبير عن هذه البدائل في ظلّ بدائل متعددة ليصدر عنه قرارا معمارياً أخلاقياً مستندا إلى خاصية انتخاب البدائل التي تتميز بها القيم.

٥ـ يرتبط بخاصية الإلزام فيما يجب أن يكون من حيث الوجوب او الالزام التي تتسم بها القيم.

٦ـ يختلف وزن القيمة من فرد لآخر بقدر احتكام هؤلاء الافراد الى هذه القيمة في المواقف المختلفة وانعكاس ذلك على القرار الصادر عنها.

نخلص هنا إلى أن النصوص المقدسة لها دور واضح في الفعل الانساني وفي صياغة وتشكيل القرارات المبنية على قاعدة معرفية متقنة تضم جميع الظواهر المتداخلة والحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع، فالعمارة الإسلامية ليست في الأقواس والنقوش على واجهات مبانيها، بل هي ذلك النتاج المعماري الذي يتلاءم وشخصية المعمار المسلم القادر على اتخاذ القرار بما منحه الله سبحانه من خلافة تكوينية في إعمار الأرض وإدارة شؤونها.

المصادر:

ـ القرآن الكريم.
ـ محمد باقر الحكيم، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، مجلة رسالة التقريب، العدد ٢١.
ـ محمد تقي المدرسي، التشريع الإسلامي؛ مناهجه ومقاصده، ج٣، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٤.
ـ محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي؛ أصوله ومناهجه، دار نشر بيروت، ١٩٧٧.
ـ العلامة محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن.
ـ تومي اسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، بيت المعماريين العرب، الجزائر.
ـ دراسة التقرير الانمائي لحال التنمية البشرية في العراق، اصدار دار الحكمة، بغداد، العراق، ٢٠٠٧.

(١) سورة إبراهيم/٣٧.
(٢) سورة البقرة/٣٠.
(٣) سورة البقرة/٣٤.
(٤) سورة الأحزاب/٧٢.
(٥) سورة الجاثية/١٢-١٣.
(٦) سورة الرعد/١١.
(٧) سورة هود/٦١.
(٨) سورة الكهف/٤٨.
(٩) سورة يوسف/٥٦.
(١٠) سورة البقرة/١٢٦.
(١١) سورة البقرة/١٢٦.

طروحات عامة

وهل يتلو الشيطان قرآنا؟!

د. نضير الخزرجي •
إعلامي وباحث/ لندن

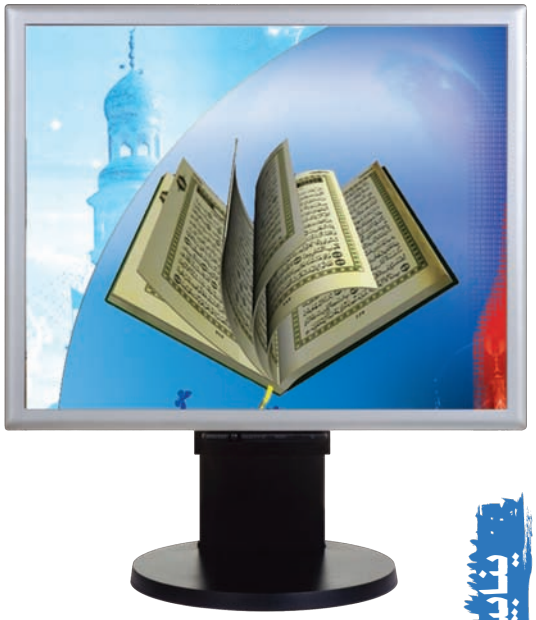

ينابيع

يحفل سجل التاريخ القديم بنصوص لا يشك المرء من الوهلة الأولى أنها من بنات خيال الإنسان، بخاصة تلك التي تتحدث عن عالم يرى فيه الإنسان أخاه الإنسان عن بعد أو يتحدث إليه عبر القارات، أو يتصل به عبر فضاءات غير مرئية، فلم يكن الواقع الإنساني يتصور إمكان التخاطب عن بعد، ولذلك عمد أكثر الناس إلى تجاهل مثل هذه النصوص ورميها في سلة الخيال الخصب، وبعض ـ وعلى أسس عقيدية ـ رفضها جملة وتفصيلاً، والبعض الآخر على الأسس

نفسها تقبلها بقبول حسن واضعا إياها في خانة الإخبار الغيبي القابل للتطبيق في قابل الزمان.

والكثير مما كان في عالم الإستحالة انتقل في عصر المعلومات إلى عالم الإمكان، فرفع ذلك من وتيرة فضول بعض المهتمين في نصوص التاريخ إلى محاولة اكتشاف الغامض من النصوص، لكن هذا البعض قاصرٌ عن التحقق من النصوص بوسائل علمية حديثة، لأنها في معظمها حكر على حكومات ومؤسسات غربية لا تدع للآخر معرفة أسرارها، كما أن دول الشرق بشكل عام لا تمتلك مثل هذه المؤسسات البحثية والدراساتية، أو لا يراد لها أن تمتلك ناصية العلم وأن تدخل مضمار العلوم الحديثة، على أن البعض مع اكتناز خزينة النصوص الإسلامية للكثير من الدرر العلمية غير واعين لأهمية هذا الكنز النفيس، ولهذا كلما استجد على ساحة العلم جديد تباروا لبيان أفضلية الإسلام وعدم تقاطعه مع العلم والتأكيد بأن هذا المكتشف العلمي أو ذاك من صميم الإسلام، وأن الإسلام سبق الآخرين في البت فيه، وما إلى ذلك من أقوال تعبر عن حسرة وغصة، لكننا نعدم الوسائل التي تترجم هذه النصوص إلى حقائق علمية تجريبية وحسية، فانشغلنا بلعبة التفاخر والإعجاز وتفرّغ الآخر لآلة التطور والإنجاز.

أما الأسوأ من هذا أن البعض لا يكتفون برفض النصوص الحديثة أو القرآنية التي تستبطن مظاهر المدنية العلمية أو تستظهرها وتحث المسلمين على الوغول في تلافيفها، فإنهم يرفضونها بدعاوى كثيرة جاعلين الشيطان هو المدخل إلى رفض الجديد حتى وإن

كان في خدمة الإنسان، فكل جديد نسب إلى الشيطان، في محاولة للحجر على عقل الإنسان، وإن كان يخبر هذا التصرف غير العقلائي عن كينونة هؤلاء البعض القائمين أصلا على التحجّر، فهم يظللون الناس عن مستنقع جمودهم بوصم الجديد بالشيطنة، فمثل هؤلاء كما يؤكد الفقيه الشيخ الدكتور محمد صادق الكرباسي عند تناوله لوسائل الاتصال الحديثة في كتاب (شريعة الإتصالات) الصادر حديثا عن بيت العلم للنابهين في بيروت في ٤٨ صفحة من القطع الصغير مع تقديم وتعليق الفقيه الشيخ حسن رضا الغديري: (لم يميزوا بين الإبتداع في الدين أو في غيره، بل ولم يميزوا ما يُنسب إلى الدين أو إلى غيره، ومن هنا نشأت فكرة التكفير بمجرد مخالفة الرأي الآخر لاجتهادهم البليد الناشئ عبر عقول متحجرة وأفكار نامية في قرى التخلف).

الآلة الصماء

لقد جرت قاعدة الإباحة مجرى المسلمات، فكل شيء مباح للإنسان تصنيعا واستعمالا إلا ما قيده نص وأخرجه من الإباحة والحلية، وهذه القاعدة هي المبتنى في كل جزئية من جزئيات الحياة الدنيا، فلا يمكن وصم الجديد بالبدعة بحجة أن الأجداد لم يعهدوه وجوداً واستخداماً، أو أن البعض استعمل الشيء الجديد في موارد غير صحيحة معارضة للشرع والعرف، فالآلة تبقى هي آلة صماء يستنطقها لسان الاستعمال، فإن استعملت في الخير كانت لسان حق وإن استعملت في الشر كانت لسان باطل، وحسب تعبير آية الله الكرباسي: (فإن الآلات الحديثة والتأليت الحادث عبر التطور المستمر يخضع للنظام الإسلامي العام، فما استخدم في وجوه الصلاح والإصلاح فجائز، وما استخدم في وجوه الفساد والإفساد فهو محرّم، فالاستخدام هو المهم، أما الآلة فهي جامدة كالسكينة إن استخدمتها لأغراض مباحة وإنسانية فهي محللة، وان استخدمتها للقتل والطعن فهي محرمة، فهي ذات وجهين تتحدد بنوعية الاستخدام، إلا إذا خصصت لأجل ما هو محرّم دون شك ولا ريب).

ومن طريف ما يذكر في مجال التطور العلمي على صعيد الاتصالات، أن الهاتف دخل دولة عربية للتو وعندما حضر احد كبار رجال الدين مجلس الحاكم وجد إلى جانبه جهاز الهاتف وعندما حاول الحاكم استخدامه نهره العالم ناعتا الهاتف بالشيطان، فاحتال الحاكم على رجل الدين بأن أوعز لأحد موظفي القصر أن يتلو عبر الهاتف آيات من الذكر الحكيم، ولما استمع العالم إلى القرآن يصدر من الهاتف، عاجله

الحاكم بالسؤال: وهل يمكن للشيطان أن يتلو القرآن يا مولانا؟ فأُسقط في أيدي العالم وتقبل الأمر على مضض كون الهاتف ليس بشيطان رجيم!

فالعبرة في نوعية الاستخدام لا في أصل الجهاز، فوسائل الاتصال، ومنها القنوات الفضائية، واحدة مما أشارت إليها النصوص، فقد ذكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام في بيان علامات آخر الزمان عند الحديث عن المهدي الموعود عليه السلام: (إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق) (منتخب الأثر: ٤٨٣)، فهناك قنوات تنشر الفضيلة وأخرى تنفث الرذيلة، والأمر نفسه مع آلة الهاتف، ولذا يؤكد الفقيه الكرباسي أن: (الاستخدامات المحرّمة لا توجب حرمة الأدوات، فلو أن الهاتف أصبح وسيلة للدعارة فإن الهاتف لا يصبح محرماً بل استخدامه في هذا الغرض محرّم) وذلك كما يعقب الفقيه الغديري: (لتبعية الأحكام لأغراض الأعمال ولا علاقة لها بالأدوات بما هي، إلا إذا وضعت للأعمال المحرّمة، ولا يمكن الاستفادة منها في غير المحرّم).

اتصالات وحضارات

كل ما في الوجود مسخر لخدمة الإنسان، فحريته وكرامته مقدمة على كل شيء، والتنوع في الملل والنحل، والأبدان والأديان، واللغات والصفات، مدعاة للتقارب البشري والتعاون على البر والتقوى لإعمار الأرض وإحيائها، ولا وسائل علمية كوسائل الاتصال أدل على مركزية التقارب البشري الذي يقرب البعيد ويعزز القريب، مما يجعل البشرية بقاراتها السبع أسرة واحدة إذا جمعتها السياسة في منظمة الأمم المتحدة جمعها العلم عبر وسائل الاتصالات والإرسال، من هاتف بكل تفريعاته من مسموع ومقروء ومرئي ومصوّر أو مذياع أو عدسة فضية (تلفزة) أو بريد كهربي (إلكتروني) أو شبكة بينية (الإنترنيت)، لأن من مفاهيم الاتصالات كما يشير المعد، أن: (الإتصال هو تقارب الشيئين واقترانهما، ومنه اتصال النيّرين الشمس والقمر أي اقترانهما واستقبال أحدهما بوجه الآخر).

ومن الاتصال يحصل التقارب ومن التقارب يتحقق التفاهم على تذليل الصعوبات والتوافق على تحييد الاختلافات، ولهذا فإن أي تطور باتجاه تقريب النفوس يعد خطوة مباركة، من حيث أن التطور المعرفي الخاص بالاتصالات كما يعتقد الدكتور الكرباسي له مدخلية كبيرة في تقليص الخلافات بين الأقوام وهو: (الطريق الأنجع إلى تلاقي الحضارات وفهم الشعوب والأمم بعضها للآخر).

ولا شك أن استخدام وسائل الاتصال الحديثة يدخل في نطاق حرية الإنسان، بيد أن الحرية ليست مفتوحة النهايات والمديات، وليست هي حرية مقيدة قصيرة المساحات والمسافات، وإنما هي حرية مسؤولة تقدر حق الأنا وتحترم رغبة الآخر، فلا يجوز على سبيل المثال استخدام الهاتف المصور من غير رضا الطرف الآخر قريبا كان أو بعيدا، ومن ذلك كما يشير الكرباسي: (هناك أشخاص

لا يرغبون الاتصال بغير مكاتبهم جعلوا البيت مكاناً للراحة وللعائلة فالاتصال بهم، مع العلم بعدم رغبة الطرف الآخر، محرّم)، فالناس مسلطون على أنفسهم، فلا يصح التدخل في شؤونهم بلا رقيب أو حسيب، ومن ذلك تعمد بعض الشركات الإعلانية إلى استئذان صاحب البريد الكهربي (الالكتروني) فيما ترسل إليه من إعلانات وتعطيه الخيار في الاستمرار أو رفضه، لإدراكها بأهمية حرية التلقي وتلافيا للإزعاج.

وعلى مستوى الأمة، فإن اختراق قوانين البلد، أو التعدي على حقوقه جريمة يعاقب عليها القانون الوضعي فضلا عن الحرمة الشرعية، فعلى سبيل المثال، أن: (نشر أية أخبار كاذبة أو كشف أية أسرار لأشخاص أو دول محترمة الحقوق عبر هذه الوسائل لا يجوز)، وهذا دائر مدار مخالفة القانون أو احترامه، وعلى الإنسان احترام قوانين البلد، ذلك أن: (مخالفة القوانين العامة التي وضعت لأجل الحفاظ على البيئة أو الإنسان محرّم، كما لو منعت السلطات الخاصة من استخدام الهاتف النقال أثناء السياقة فإن مخالفة ذلك محرّم، وبالأخص إذا كانت الدولة محترمة القوانين)، لأن المدار كما يؤكد الفقيه الغديري، هو أن: (الإلتزام العام يقتضي رعاية جميع القوانين الموضوعة لأفراد المجتمع وإذا كانت هناك شبهة شرعية فيقتصر عليها حسب المورد).

واحترام القوانين الموضوعة لخدمة الإنسان وتنظيم عمل وسائل الإتصال واجب على الإنسان بغض النظر عن البلد موطنا كان أو مهجرا، بلدا مسلما كان أو غير مسلم، ولذلك يرى الفقيه الغديري أن احترام القانون سيان في البلد المسلم أو غير المسلم، ذلك أنه: (إذا كانت الدولة غير مسلمة والتزم الإنسان برعاية قوانينها ضمن القرار العام، فيجب العمل حسب التعاقد، كما هو الحال للمسلمين المقيمين في البلاد الغربية فإنهم ملزمون باحترام قوانين تلك الدول أولا وبالذات، وثانيا بالعرض، أي أصالة أو بالتبع)، وفي اعتقادي أن مسؤولية المسلم في البلدان غير المسلمة تعظم وتكبر، لأن وسائل الإعلام على الأعم الأغلب، وهي جزء من وسائل الاتصالات، ناظرة إلى فعال المسلمين وأدائهم لا إلى أصل الإسلام وقواعده، ولهذا فأية إساءة للقوانين تنعكس سلبا على الإسلام والمسلمين، لأن المجتمعات غير المسلمة تقرأ الإسلام عبر صفحات كف المسلم وما تجنيه يداه فإن أحسن أحسن للإسلام وإن أساء أساء للإسلام!

معالجات حديثة

ومن الطبيعي أن كل وسيلة أو آلة

خاضعة لقانون المنفعة والمضرة، دون أن تدخل حيز التحريم الكلي، كما أن إحترام القوانين لا يعطي الحق الكامل للسلطة الاعتداء على حقوق المجتمع وحريته، وإن كانت الحكومة منتخبة، إلا في إطارات ضيقة للغاية، تفرضها المصلحة العامة من باب تغليب العام على الخاص، فكما لا يجوز استخدام وسائل الاتصال في أي وجه من وجوه الحرام فإنه وبنظر الفقيه الكرباسي: (لا يجوز للشركة المسؤولة أو الدولة التنصت على المكالمات الهاتفية وكل وسائل الاتصال إلا في ظروف استثنائية وبإذن حاكم الشرع) والسبب في ذلك كما يشير الفقيه الغديري: (لكونه من مصاديق التجسس المحرّم، ولا يجوز التدخل في الشؤون الشخصية إلا أن يكون هنا داع آخر من حفظ الدين والبلد الإسلامي وأمثاله، فيتوقف الأمر حينئذ على الإذن من الحاكم الشرعي، وفي ظروف معيّنة وشرائط خاصة، من غير تعدٍّ للقيود المحدّدة).

وفي جانب آخر لا يصح استخدام وسائل الاتصالات الحديثة للترويج إلى ما هو محرّم ومناف للأخلاق والفطرة الإنسانية والأعراف الإجتماعية السليمة، من هنا: (لا يجوز استخدام هذه الوسائل في الأمور المحرمة كالدعاية للخمر والفاحشة أو نقل بيانات الإرهابيين والقتلة وما فيه تقوية لهم ولأعداء الإسلام والمسلمين)، وبإزاء هذه الحرمة في التبليغ لدعاة الإرهاب والتطرف الذين يستغلون وسائل الاتصال الحديثة للوصول إلى عقل الإنسان والتشويش على فطرته السليمة واستغفال القصّر والشباب والشابات، فإنه من باب أولى: (لا يجوز بأي شكل من الأشكال استخدام الهواتف النقالة في الأعمال الإنتحارية والتفجيرات)، والمسألة لا تحتاج إلى عناء تفكير، والعلة كما يؤكد المعد: (لكونه من مصاديق المعاونة في قتل النفوس ونهب الأموال وإيجاد الخوف في قلوب الناس وسلب الأجواء الأمنية في المجتمع ونقض السلام وهدم بُنية الحياة الإجتماعية، وغصب حقوق البشر، وتقوية روح الإرهاب وتنمية فكرة العنف) وليس هذا الكلام ببعيد عن تفكير الفقيه الغديري وإيمانه بحرمة العمليات الإنتحارية حتى وإن ألبسها دعاتها لبوس العمليات الإستشهادية.

في الواقع أن (شريعة الإتصالات) التي تضمنت (٧٦) مسألة فقهية حديثة تتناول قضية إفرازات الثورة العلمية في مجال الإتصال مع (٨٢) تعليقاً غنيا بمفاهيم إسلامية وشرعية تواكب العصر وتطوره، تمثل قفزة نوعية في مجال التأسيس لفقه معاصر يعالج كل مستجدات العلم الحديث بما يغني المجتمع ويضع المرء على جادة الصواب ويحميه المعمورة من سلبيات العلوم الحديثة وتداعياتها ■

طروحات عامة

التوتر والضغط النفسي لدى الرجل والمرأة وآثاره السلبية على الخصوبة

أ. د. محمد باقر فخر الدين •

معهد أبحاث الأجنة وعلاج العقم/ جامعة النهرين

ينابيع

إن حالات العقم هي من المشكلات الطبية الشائعة في جميع المجتمعات. ويحتاج زوج واحد من كل ستة أزواج إلى مراجعة أخصائي العقم خلال فترة الزواج. حيث تقدر نسبة انتشار العقم بحوالي ١٠- ١٥٪ من الناس. وتتعدد الأسباب العضوية في المرأة والرجل التي تؤدي الى عدم الإنجاب، ومن المعروف بأن احتمالية حصول الحمل تقل بزيادة فترة العقم، هذا فضلاً عن وجود أسباب للعقم غير قابلة للتشخيص أو للعلاج. وتدل الإحصاءات على أن حوالي ٣٠٪ من الحالات يحدث

فيهـــا الحمل والإنجاب خلال الســـنوات الثلاث الأولى بعد تشخيص العقم (الذي يتطلب مـــرور عـــام كامل علـــى العلاقة الطبيعية للرجل والمرأة). والفرضية التى تقول بأن (الآلام النفسية والتوتر والتعب النفســـي هـــي إحـــدى العوامل المســـببة للعقـــم) لاتزال موضوعا للجدل والنقاش في الأوساط العلمية.

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن التوتر النفســـي والضغوط والغضب تعتبر عوامل مدمرة لصحة الإنسان وقلبه اضافة الى دورها في انخفاض الخصوبة وحصول العقـــم، فقد تؤدي إلى أمراض خطيـــرة متنوعة مثل الســـرطان! ويعتقد الباحثون أنه على الرغم من أن ممارســـة التماريـــن الرياضية وإتبـــاع حمية غذائية جيدة وغيرهـــا من العوامـــل ذات أهمية حيويـــة لصحـــة القلـــب، إلا أن للعوامل الاجتماعية والسعادة والإحساس بالرضا والكمال والعمل من أجل هدف في الحياة لها تأثير بدورها سواء كان مباشر أو غير مباشر. وقد أوضحت دراسات حديثة في مجال طب المجتمع ان الازواج المصابين بالعقـــم والتوتر والنفســـي يقعون تحت طائلـــة اتخاذ القـــرار الخاطـــيء أو عدم تمكنهم من اتخاذ القرار المناسب أصلاً في أغلب الأحيان، مما يســـبب مشـــاكل اضافية تعمق من مشكلة العقم وتقلل من فـــرص نجاح الحمل وتزيد من المشـــاكل العائلية وقد تؤدي الـــى الطلاق في عدد غير قليل من العوائل.

فقد كشـــف بحث أمريكي أن الإجهاد والضغـــوط النفســـية التي يتعـــرض لها الأفـــراد بشـــكل يومي يمكن أن تســـبب حصـــول بعـــض أنـــواع الســـرطان، في حين وجدت دراســـة أوروبية مشابهة أن

الإجهـاد مضر لصحة القلـب. وأظهرت الدراسـة التي نفذها باحثون من جامعة (يـال) الأمريكية، أن الضغوط النفسـية اليوميـة قـد تحفـز نمـو الأورام، وأن أي صدمـة، عاطفية أو جسـدية، يمكن أن تكـون بمثابـة (ممر) بيـن الطفرات السـرطانية التـي تؤدي فـي النهاية إلى الإصابة بـأورام خطيـرة. وتُبيـن نتائج الدراسة، التي نشرت في مجلة (الطبيعة Nature) واسـعة الانتشار، أن الظروف اللازمة للإصابة بهـذا المرض يمكن أن تتأثـر بالبيئـة العاطفية بمـا في ذلك كل المهـام اليومية التي نقوم بها سـواء في العمـل أو في نطاق العائلـة. حيث يقول البروفسور تيان إكسـو اختصاصي علم الوراثة مـن جامعة يـال: «هنالك الكثير من الظروف المختلفة يمكن أن تؤدي إلى الإجهاد والتوتر النفسـي، والحد منه أو تجنب الظروف المسـببة له دائماً نصيحة جيدة». وتناولت دراسة أوروبية جانباً آخر للإجهاد، إذ أظهر بحث بريطاني تأثيره السلبي على القلب وما يمكن أن يتسبب به من أمراض، لتؤكد علمياً الاعتقاد السائد منـذ القـدم بارتباطه بالنوبـات القلبية.

فقد أُخضـع كل المشـاركين لاختبارات ضغـط ومـن ثـم قيسـت مسـتويات هرمـون الكورتيـزول، وهـو هرمـون الإجهـاد الابتدائـي الذي ينتجه الجسـم عندما يتعرض إلى ضغوطات نفسـية أو جسـدية، ويـؤدي في حـال إطلاقه إلى تضييق الشـرايين. ولاحظ الباحثون أن المشـاركين ممن أصيبوا بالإجهاد جراء الاختبارات كانوا الأكثر عرضة، وبواقع الضعف، للإصابة بضيق الشرايين، عن أولئك الذين احتفظوا بهدوئهم.

فالإنسـان يتعرض في حياته الى كثير من المواقف والاحـداث الضاغطة التي تترك أثارا نفسـية مختلفة عليه، كالفشل في العمل او في الحصول عليه او فقدانه او فقدان عزيز او الطلاق او ضائقة مادية وغيرها. ولكـن حالة قلة الخصوبة يمكن أن تكون أشدها ضغطا على الإنسان نظرا لأن عدم القدرة على الإنجاب بسبب قلة الخصوبـة ترتبط بخيبة امـل الزوج في إنجاب طفل يحمل اسمه وهو هدف كبير خصوصا في مجتمعاتنا الشـرقية عموما والعربيـة على وجه الخصوص. فالحقيقة أن تشخيص العقم بحد ذاته له وقع نفسي كبير وهو يسـبب توتراً وآلامـاً وعذاباً. ويشـبه الوقع النفسـي لهذا التشـخيص ردود الفعـل الناتجـة عـن مـوت أحـد الأقرباء وغيـر ذلك من تجارب الفقدان والحداد.

وفـي مجتمعنـا الشـرقي بوجه عام والمجتمـع العربـي بالتخصيـص حيث يسود الوسـط الذكوري نجد ان السعادة لا تتحقـق الا بالحصول على الذرية ومن الذكـور بالتحديـد، وهـذا مـا أدى الى تـردي الأفكار الاجتماعية وسـاهم نوعا

مـا بالحفاظ على وعـي البادية الذكوري والقبلي على الرغم من التقدم والرفاهية التي تمر بها مجتمعاتنا والتواصل النوعي والمتميز بين الشـعوب وبوجود وسائل الاتصال المتقدمة مما جعل العالم أشـبه ما تكون بمدينة صغيرة ذات عالم يقترب الى التماثل في الكثير من مبادئه الأساسية بالرغـم من تنوع أصول الشـعوب. وقد أكدت الابحاث في الطب النفسي وطب المجتمـع ان الضغـط والتوتر النفسـي الذي يخيم على العائلة العربية نتيجة عدم الحصول على ذكر في الذرية يؤثر سـلبا على العلاقات العاطفية بين ربي الأسـرة وتمتد الـى العلاقات الأبويـة مع أفراد العائلة أجمع وبالخصوص الذرية الاناث، وفي أغلب الاحيان تستدعي هذه الأمور الى تدخل مباشـر أو غير مباشر من قبل أفـراد آخرين من المجتمـع القريب الى العائلة أو العشـيرة. ونتيجة لذلك سيكون القرار من خارج الأسرة ويؤثر على الحالة التناسـلية للزوجين وبالتالي اسـتحداث حالة مـن عدم التواصل النفسـي بينهما على أقل تقدير.

إن الـذي يتأمـل القـرآن يلاحظ أن كثيراً مـن الآيات تأمرنـا بالصبر وعدم الغضب والتسامح والعفو، وهنالك آيات كثيرة تحض على الهدوء النفسي ومن هذه الآيات قوله تعالى: (وَاصْبِـرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّه وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّـا يَمْكُـرُونَ * إِنَّ اللَّه مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِـنُونَ) النحل: ١٢٦-١٢٨. وأفضل طريقة لعلاج الضغوط النفسـية هي العفـو، لأن الله تعالى يقـول: (وَأَنْ تَعْفُـوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَـوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُـمْ إِنَّ اللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) البقرة: ٢٣٧. ولنتأمـل معاً هـذا النص القرآني الرائـع: (وَمَا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الَّذِيـنَ صَبَرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيم) فصلت: ٣٤-٣٥.

فجزء كبير من الضغوط اليومية التي يتعرض لها الإنسـان سـببها الإحسـاس بالظلم وعدم القدرة على النيل من الآخرين أو عـدم تمكنه من الحصـول على مبتغاه وبأسـرع ما يكون أو سماعه لكلام مريب من الأقـارب نتيجة العـادات الاجتماعية السـيئة التي ما زالت تعيش في أجسادنا وتنخر في عاداتنا الاسلامية الحميدة على الرغـم من نهي الاسـلام والنبي صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام لهذه المسـاوئ، ولكن بمجرد أن يمارس الإنسـان (العفو) فإن المشـكلة تتبخر مثـل الحرارة عندما تبخر المـاء! ولذلك كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة الطيبيـن الصالحين عليهم السلام من بعده أكثر الناس عفـواً، ويكفي أن نتذكر يوم فتح مكـة عندما نصـره الله على أعدائه الذيـن اسـتهزؤوا بـه وآذوه وأخرجـوه وشـتموه، ولكنه عفا عنهم وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء ! إن هذا الموقف هو درس لكل مؤمـن أحب رسـول الله صلى الله عليه وآله، ومن رحمـة الله تعالـى بعباده أنـه جعل ثواب التسـامح والعفو كبيراً جداً في الآخرة، وجعل ثوابه عظيماً في الدنيا وهو التمتع بصحة أفضل واستقرار نفسي أكبر!

ولم يكد يمرّ يوم على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا وتحـدث معه أحـداث تدعو للغضب والانفعـال والتوتر النفسـي، ولكننا لم نعلـم أنه صلى الله عليه وآله غضب مرة واحدة إلا عندما يتعـدى أحد على حدّ من حدود الله. فقد كان النبـي الكريم صلى الله عليه وآله يعالج أي مشـكلة بهدوء وأناة وهذا ما جعل الناس يدخلون

في دين الله أفواجـاً (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لنتَ لَهُـمْ وَلَوْ كُنـتَ فَظًّا غَلِيـظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّـواْ مِنْ حَوْلِـكَ) ولذلك مدحه الله في كتابـه المجيد فقال في حقـه (وَإِنَّكَ لَعَلَـى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلـم:٤. بل إن النبي الكريمﷺ كان يأمـر أصحابه أن يرددوا عبـارة مهمة تعبـر عن الرضـا، صباحاً ومسـاءً وهو هذا الذكـر: (رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبمحمدﷺ نبياً ورسـولاً)، وكان يقول: من قال ذلك عشـر مرات صباحاً ومساءً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة. وكما يؤكـد الباحثون أن الرضا يعتبر من أهم الوسائل العلاجية لأي مرض نفسي، فمعظم الاضطرابات النفسـية ناتجة عن عدم الرضا.

وقد اعتبـر بعض الأطبـاء أن التوتر النفسـي وما يتعلق به من اضطرابات قد يكون سببا في فشل المحاولات العلاجية للعقم. وقامت عدد من الدراسـات لتبين مدى فعالية بعض أساليب العلاج النفسي المتضمن فى برامـج علاج العقم الطبية والجراحية. وكانت النتائج مشجعة حيث تبيـن أن معدلات الخصوبـة والحمل قد ازدادت. وفـي هذه الدراسـات نجد أن العلاج النفسي الجنسي والأسري الموجه نحو القلق أدى إلى تحسن الحياة الزوجية مما جعـل الأزواج أكثر راحـة واطمئناناً كما أدى إلى ازدياد نسـبة حدوث الحمل خلال الأشـهر التالية للبرنامج العلاجي. وقد تضمنت الأساليب العلاجية الأخرى أسـاليب سـلوكية مثل التثقيـف الطبي النفسـي والاسـترخاء وتمارين التنفس العميق وحل الصراعات النفسية المرتبطة بالأمور الجنسـية والحمل والمشـكلات الزوجيـة أو التخفيف منهـا؟ وتصحيح طرق التفكير الخاطئة من خلال الأساليب المعرفيـة وأيضـاً زيـادة تقديـر الذات والتوافـق معها والإيحـاء الذاتي، إضافة للغذاء المتوازن والتمارين الرياضية.

ومـن المعـروف أن هنـاك العديـد مـن هرمونـات الجسـم تتأثـر بالتوتر والحالـة النفسـية عند الإنسـان. ومنها هرمون الحليـب (Prolactin) والهرمون المحـرض للرحـم (Progesterone). وأيضـا الأدرينالين (Adrenaline) والنورأدرينالين (Noradrenaline) والدوبامين (Dopamin) والبروسـتاكلادين (Prostaglandin). ويمكـن لبعـض هـذه الهرمونـات (Gonadotrophin Releasing Factor) فـي منطقـة مـا تحـت المهاد (Hypothalamus) أن يؤثـر علـى الهرمونـات المحفـزة للغـدة التي تفرز الهرمونات الجنسية التناسلية في الدماغ الإنسـاني. وهذه الطلائـع بدورها تؤثر على الهرمونات الجنسـية. وهي الهرمون المولـد للجريبات فـي المبايض (FSH) والهرمون المصفر (LH) الذي يساهم في

إنضاج البويضة وتطويرها في الاناث.

وفي ذات المجال حذرت الباحثة الأميركية أليزابيث كيربي من جامعة كاليفورنيا، من أن الضغط النفسي قد يؤدي إلى الاختلال في الوظائف الجنسية وبما يؤثر على الخصوبة وقد يحدث العقم. وقالت إن الحالة النفسية المتوترة تزيد مستويات هرمونات الضغط النفسي المسماة كلوكوكورتيكويدز (Glucocorticoids) ومن بينها هرمون كورتيزول (Cortisol) الذي يكبح الموجه الجنسي الأساسي في الجسم وهما هرموني المحفزين للقند (Gonadotropins) مما يؤدي بدوره إلى تناقص عدد الحيوانات المنوية عند الرجل وانخفاض الخصوبة وقد يسبب العقم. وقالت كيربي، في الدراسة التي نشرت في مجلة (Proceeding of The National Academy of Sciences). ورأت كيربي (إن هذا البحث يوفر هدفاً آخر للباحثين لدرسه وطريقة أخرى للتفكير في مشاكل العقم والخلل الوظيفي في الجسم).

كما ان ازدياد إفراز هرمون الحليب يمكن أن تؤدي إلى مشاكل صحية عديدة عند المرأة، من أهمها: غياب الحيض أو عدم انتظام مواعيده، مما يعرقل الحمل، ويؤثر سلبًا على البشَرة والجلد كظهور حبّ الشباب وازدياد نمو الشعر. بالإضافة إلى ذلك فان اختلال مواعيد الحيض يسبب حالة ترقق العظام (Osteoporosis). أما لدى الرجال فان ارتفاع نسبة هرمون الحليب في الدم قد يبقى خامداً فترة طويلة. ومن بعض أعراضه الاختلال في الانتصاب والأرق والشعور بالإرهاق والصداع وضعف الدائرة البصرية. لذا فان الرجال الذين عندهم أعراض ارتفاع هرمون الحليب في الدم (Hyperprolactinaemia) يكون لديهم ضعف جنسي وكذلك انخفاض في فرص الحمل لدى زوجاتهم. ويلاحظ أن معظم الضغوط النفسية ترفع مستوى هرمون الحليب.

ومما سبق يمكننا ان نستنتج ان التوتر والإجهاد النفسي وهو من العوامل التي تؤثر مباشرة في اعداد الحيوانات المنوية، ذلك لأن الاجهاد والضغط النفسي يجعل الجسم يفرز المزيد من هورمون الكورتيزول الذي يؤثر سلباً في انتاج الحيامن. وكذلك القابلية للاستجابة للعلاج تكون لديهم أقل أو أبطأ مقارنة مع الاشخاص الذين لايعانون من توتر واجهاد نفسي. فالكثيرون منا ممن يتعرضون لفترات اجهاد طويلة في حياتهم، عليهم ان يدركوا المضاعفات البعيدة لهذه الحالة، وعلينا ان نتعرف على المشاكل التي يولدها الاجهاد والتوتر النفسي بما فيها تردي الخصوبة والاصابة بالعقم وبقية الأمراض الآخرى لكي ننتشل انفسنا منه ونحمي صحتنا التناسلية بالتخصيص حتى لا نغرق في دوامة الاجهاد ومضاعفاته.

يؤكد علماء وباحثين في اختصاص الطب النفسي حدوث انخفاض في نسبة الخصوبة ولعدة أسباب من بينها الضغط النفسي لدى الأنسان مما يؤثر سلباً على وظائف الخصى والتي تعتبر المصنع الذي ينتج الحيوانات المنوية لدى الرجل المعروف باسم الخصيتين، وهذا المصنع لا يعمل بكفاءة ويعطل إنتاج الحيوانات

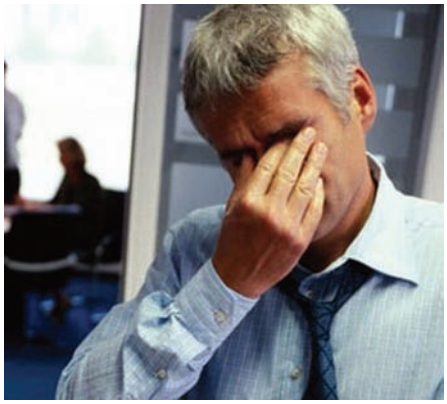

المنوية بشكلها الطبيعي في بعض الأحيان بسبب الضغوط النفسية التي تقع على البعض. وهناك أيضاً الملوثات البيئية من عوادم السيارات والمصانع التي تعمل على تعطيل الهرمونات في مصنع إنتاج هذه الحيوانات المنوية، وكذلك الإرهاق البدني للزوج أو الزوجة بسبب ضغط العمل مما يقلل من الخصوبة، كما انعدام الرياضة أو عدم القيام برحلات ترفيهية كل ذلك من شأنه الإسهام في تدني الخصوبة حيث أنه من المطلوب إيجاد منافذ للتنفيس عن النفس والروح،فإرتفاع نسبة الإصابة بالأكتئاب يقلل من نشاط الجسم كله مما يؤدي بالتالي إلى تقليل المناعة وبالتالي التدني في نسبة الإخصاب.

وقد أشارت تقارير منظمة الصحة العالمية الى انخفاض في مستوى الخصوبة وبالخصوص في عمر الشباب، حيث يراجع الكثير من الاشخاص في عمر الشباب الى عيادات العقم، وأظهرت الفحوصات المختبرية والسريرية حصول تردي واضح في وظائف الغدد التناسلية وغيرها من العوامل المرتبطة بالخصوبة والحمل. كما سجلت الاحصائيات تزايد معدلات اصابة الشباب بالضعف الجنسي ليلة الزفاف وهو من المثير للانتباه وكما نعلم أن له عدة اسباب منها الكآبة والقلق النفسي بشكل رئيس والذي يحاصرهم نتيجة العوامل الاقتصادية والاجتماعية وايضاً تعاطي المخدرات وتناول الادوية المهدئة، ولكن الغريب وعلى النظير من معظم دول العالم المتنوعة فالدول العربية لا توجد بها احصائيات بالأمراض الجنسية وذلك نظرا لحساسية هذه الأمراض وخطورتها على المستوى الاجتماعي. كما أن المجتمع وقيمه العامة تنظر سلبيا إلى فشل الزوجين في إنجاب الأطفال حيث يعتبر ذلك نوعا من عدم الكفاءة الشخصية. إضافة لاعتبار العقم نوعاً من الوصمة السلبية. وأبسط دليل على تأثير العوامل النفسية على وظيفة الإنجاب هو اضطراب الوظائف الجنسية المتعلقة بالجماع الناتج عن أسباب نفسية. ولكن هؤلاء المرضى ربما لا تتجاوز نسبتهم ٥-١٠٪ أن مجموع مرضى العقم باختلاف المجتمعات المتنوعة.

وكون العقم يشكل أزمة حياتية معقدة تهدد كيان الإنسان وتشكل ضغطاً انفعالياً شديداً. وتتنوع ردود الفعل النفسية وتظهر عند البعض أعراض القلق والتوتر والاكتئاب والقنوط واليأس والشعور بالإخفاق والفشل. كما يؤدي العقم إلى اضطراب العلاقة الزوجية في حالات أخري وقد تصل نسبة الذين تتوتر علاقاتهم إلى ٣٧٪ من مراجعي عيادات العقم في الدول الغربية. كما يؤدي إلى تأثيرات سلبية على صورة الإنسان عن نفسه بما فيها هويته الجنسية. وترتبط

الأساليب الحديثة في علاج العقم مثل التمنية (أو التلقيح) داخل الرحم وأطفال الأنابيب بدرجات متفاوتة من التوتر والضغوط النفسية بسبب الفحوصات العديدة ومتطلبات العلاج الجراحية وضرورة الانتظار وتكرار المحاولات. وترتبط ردود الفعل النفسية بدرجة التكيف في مرحلة ما قبل إجراء العمليات، حيث نجد أن النساء اللاتي كان تكيفهن ضعيفاً، كانت ردودهن النفسية سلبية وشديدة بعد فشل المرحلة الأولى من العلاج. وقد اتصفت طريقة تفكيرهن بشدة التعلق بضرورة تحقيق الوظائف الأنثوية ومتطلبات الأنوثة من حيث الإنجاب وغير ذلك. وقد أوضح الأطباء النفسيون أنه يجب التذكر دائما عند علاج حالات العقم (أننا نعالج أناساً وأشخاصاً لديهم مشكلة العقم ولا نعالج العقم نفسه).

وكما يتبين مما سبق فإن دور العوامل النفسية المتعلقة بمشكلة العقم قد لاقي مزيداً من الاهتمام في الآونة الأخيرة. وقد أوضح د. كيفان في مراجعة شاملة للموضوع في أنه لا توجد دراسات دقيقة حول الأساليب النفسية المستعملة ونتائجها. كما أن كثيراً عن الدراسات لم تستعمل عينة مقارنة من المرضى ولم تتلق العلاج النفسي. وأكد ضرورة إجراء مثل هذه الدراسات بشكل دراسات مستقبلية متابعة، إضافة لدراسة الأساليب التكيفية الناجحة التي يمكن أن يتبناها الأزواج للسيطرة على مشاعرهم السلبية الناتجة عن العقم، وتجعلهم يتخذون القرارات المناسبة في أمور العلاج وبما يتعلق بعلاقتهم الزوجية والطرق الأخرى البديلة عن الإنجاب الطبيعي. كما بين ضرورة تفهم المؤسسات الطبية والأجهزة الصحية للمساهمات الممكنة من قبل الأخصائيين النفسيين وأخصائيي التوجيه والإرشاد النفسي وغيرهم في تفهم حالات العقم والعلاج. وبشكل عام فإنه يمكننا في الوقت الحالي أن نقول إن العوامل النفسية ربما تساهم في نشوء حالات العقم الغامضة والتي لا يوجد لها تفسير طبي واضح. كما إنه من الأكيد أن أموراً نفسية عديدة تنتج حال تشخيص العقم وبيان عدم امكانية الحمل والانجاب ولو لفترة وجيزة.

وتتضمن الموضوعات التي يتطرق إليها العلاج النفسي في مثل هذه الحالات الضغوط المشاكل الاجتماعية المحيطة ـ الحزن والاكتئاب ـ اللوم ومشاعر الذنب ـ الخوف من الاختبارات والاستقصاءات الطبية والعلاجات المتنوعة، وأيضاً مشاعر الغضب والنقص واضطرابات الوظيفة الجنسية. كما تجري مناقشة الأساليب الأخرى التي يمكن عن خلالها تحقيق الأبوة والأمومة عن غير طريق الإنجاب كرعاية الأيتام وتربية الأطفال وغير ذلك. وتبقى أسئلة مهمة تحتاج إلى مزيد من الإجابات.. هل يؤدي التوتر والضغط النفسي والاضطرابات النفسية الأخرى إلى التأثير على عملية الإباضة نفسها؟ أو نقل البويضة أن تثبيت الجنين أو إنتاج الحيوانات المنوية؟ ربما يكون ذلك بواسطة الطريق العصبي الهرموني.. وإذا كان الأمر كذلك فما هو دور الأساليب العلاجية النفسية وأساليب تخفيف التوتر والقلق وأساليب العلاج الجنسي والأسري في هذا المجال؟ ■

طروحات عامة

الصلات التاريخية والحضارية بين النجف والحيرة

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

ينابيع

ارتبط تاريخ مدينة النجف ارتباطاً تاريخياً وحضارياً وثيقاً بمدينة الحيرة، هذا الارتباط لاشك أنه أكسب هذه المدينة دوراً مهماً لا يغفله الباحثون عند تصديهم لكتابة تاريخها وتدوينه في صفحات الكتب.

على الرغم من أن الجذور التاريخية لمدينة النجف يعود إلى عصور قديمة سبقت هذه الفترة، إذ أن تاريخها لم يبدأ بنشوء مملكة الحيرة العربية كما يتصور البعض، لكن هو أبعد من ذلك زمنياً، إذ هناك كثير من النصوص المتناثرة في بطون المصادر تعطيها بعداً زمنياً يسبق هذا، فهناك إشارة

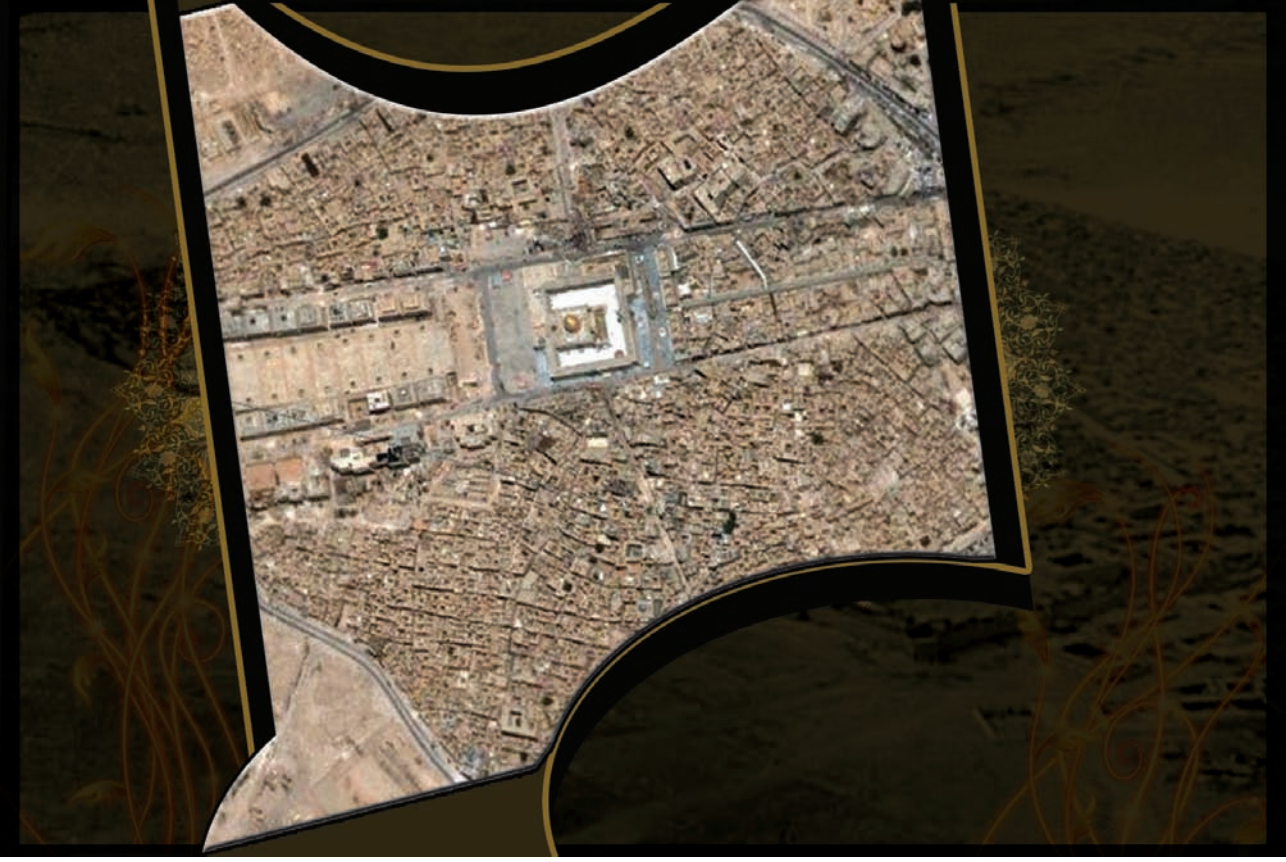

واضحة من بعض الروايات إلى مرور نبي الله إبراهيم عليه السلام فيها، بل واشتراها من قبل السكان المحيطين بها، واستوطن فيها كما نقل ذلك ياقوت الحموي[1]، لاشك ان هذه لرواية تدلل على البعد التاريخي لهذه المدينة، بل وسبقت ظهور الحيرة على المسرح الحضاري بمئات السنين، وهناك روايات ونصوص أخرى لسنا هنا في صدد التعرض لها في هذا البحث.

أشارت بعض المصادر الجغرافية والتاريخية بان الحيرة على النجف[2]، وقال ياقوت الحموي: (الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف)[3]، وإلى مثل هذا القول أشار أبي الفداء بقوله: (والحيرة على موضع يقال له النجف)[4]. وكذلك القلقشندي استند على ما ذكره السابقون بقوله: (والحيرة على موضع يقال له النجف)[5].

ومن هنا نلاحظ ان الحيرة نشأت في البقعة الجغرافية التي تعرف بـ(النجف) فكان لابدّ أن تضاف الحيرة إلى النجف فيقال: (حيرة النجف)، إلا أن العادة جرت بتعريف الغامر بالعامر فأضيفت النجف إلى الحيرة، فقيل النجف الحاري)[6]، وهذا ما أكده عبد المحسن شلاش بقوله: (وأما النجف فهو جزء من حيرة العرب)[7]، وقصد بذلك الارتباط التاريخي والحضاري بين النجف والحيرة، ولبعض أهل الكوفة شعراً يشير إلى هذا الأمر[8]:

وبالنجف الجاري إذا زرت أهله
مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحب اللهو في غير ريبة
عفائف باغي اللهو منهن آيس
يردن إذا ما الشمس لم يخش حرها
ظلال بساتين جناهن يابس

ونرى كذلك هذا واضحاً في الأخبار

بقايا أحد المباني الأثرية في مدينة الحيرة

الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث تشير إلى مصطلح (نجف الحيرة) فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إني لما كنت بالحيرة عند أبي العباس كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً وهو بناحية نجف الحيرة إلى جانب الغري)[٩]، وإلى هذا المعنى المتقدم أشار الشاعر البحتري بقوله[١٠]:

أرمق الكوفة أرضاً وأرى
(نجف الحيرة) أرضاها وطن

ويرجع بناء مدينة الحيرة وتأسيسها إلى الملك الكلداني نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢) ق.م حيث إنه جمع تجار العرب وبنى لهم حيرا على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرسا وحفظه[١١]، ولذا فسر البعض تسمية الحيرة نسبة إلى الحير التي بناها نبوخذ نصر[١٢] وجاءت التنقيبات الأثرية في منطقة الحيرة لتؤكد هذا الأمر، حيث عثرت على مخلفات مادية يرجع منها إلى العصر البابلي الحديث[١٣].

واقترنت أهمية الحيرة وظهورها كمدينة لها سماتها التاريخية والحضارية بنشوء مملكة المناذرة الذين اتخذوا الحيرة عاصمة لهم[١٤] وأصبح لها كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، متمثلاً ذلك بسيطرتها على الأراضي الواقعة في شرق جزيرة العرب، حيث أخذ يمتد سلطانهم ونفوذهم من أطراف العراق إلى البحرين وإلى جبل طي[١٥].

وبحكم سيطرة الدولة الساسانية على العراق كان لابدّ لحكام هذه الإمارة ان يتمتعوا بعلاقات مرنه تسوقها المصالح المتبادلة بين الطرفين، لذا كانت هذه من أهم العوامل المساعدة وراء توسع نفوذ هذه المملكة وانتعاشها واستمرار زيادة نفوذها على القبائل القاطنة في المنطقة من مذحج، وحمير، وطي، وكلب، وتميم[١٦]، لذا جعل الساسانيون من هذه المملكة دولة حاجزة بينهم وبين القبائل العربية التي كانت تقوم بغارات مستمرة على أطراف السواد من حدود العراق الجنوبية الغربية تاركين عناء الدفاع عن هذه التخوم لملوك الحيرة[١٧]، وكقوة عسكرية بوجه الدولة الرومانية[١٨]، وإلى مثل هذا كان هدف الرومان نفسه في موضوع علاقاتهم بالغساسنة[١٩].

وما الخندق الذي حفره شابور ذو الأكتاف (٣٠٩-٣٧٩م) المسمى بـ(خندق سابور) الذي يبدأ من جنوب مدينة هيت بنحو سبعة عشر كيلومتر ويمتد على طول الحدود الغربية لأرض العراق السهلة وينتهي في الخليج العربي قرب مصب نهر بوبيان مدخل مصب نهر الفرات الواقع على بعد ٣٠كم إلى الغرب من شط العرب وإلى الشرق من جبل سنام[٢٠] (وبنى عليه

المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية من السواد)[٢١].

وقد نسب بعض المؤرخين حفر هذا الخندق إلى نبوخذنصر، وهذا ما اعتمده الامريكي بتزر[٢٢]، بينما نسبه البعض الآخر إلى الملك الساساني انوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٨)[٢٣].

ولم يبق اليوم من آثار هذا الخندق الكبير سوى الجزء الفاصل بين مدينة النجف والكوفة ويطلق عليه اسم (كري سعدة)، ولا تزال هناك آثار نهر مندرس بالقرب من مدينة الرمادي يحمل نفس الاسم المتقدم تنتشر بعض القبور فوق ضفافه من العهد الساساني[٢٤].

وكانت هذه المحاولات لصد هجمات القبائل الغربية المتكررة وإيقافها على السواد إلا انه لم يكن بمقدور الساسانيين حكم القبائل العربية في العراق بشكل مباشر، بل تركوا أمر ذلك لملوك الحيرة[٢٥]، الذين استطاعوا بصورة أو بأخرى من بسط دائرة نفوذهم وسيطرتهم على هذه القبائل، أما بمنح رؤسائهم بعض الفوائد المالية، أو عن طريق استخدام القوة العسكرية[٢٦].

أما صلة النجف بالحيرة، فقد أسست هذه المملكة العربية على منطقة النجف التي تقع ضمن بقعة جغرافية محددة، وكان يطلق على النجف مصطلح (الظهر) أو (ظهر الحيرة) نتيجة لارتفاع النجف عنها كما ذكرنا سابقاً، وتعتبر النجف ضاحية من ضواحي الحيرة يختلف إليها ملوك الحيرة وأمراؤها طلباً للراحة والاستجمام، وذلك لاعتدال مناخها، وعذوبة هوائها، كما اتخذوها مصحة (للأجسام العليلة ومنجاة من الأمراض الوبيلة)[٢٧]، ويرى الاصطخري ان: (هواؤها وترابها أصح من الكوفة)[٢٨]، وأيد ذلك إسحاق الموصلي عندما زار النجف مع الخليفة العباسي الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) بقوله[٢٩]:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف
نحيي داراً لسعدى ثم ننصرف
ما إن أرى الناس في سهل ولا جبل
أصفى هواء ولا أعذى من النجف
كأن تربته مسك يفوح به
أو عنبر دافه العطار في صدف
حفت ببر وبحر من جوانبها
فالبر في طرف والبحر في طرف
وبين ذاك بساتين يسيح بها
نهر يجيش بجاري سيله القصف
وما يزال نسيم من أيامنه
يأتيك منها بريّاً روضة أنف
تلقاك منه قبيل الصبح رائحة
تشفي السقيم وقد أشفى على التلف

وعليه أصبحت منطقة الظهر متنزهاً لملوك الحيرة، حيث كانوا يخرجون إليها للاستمتاع بالمناظر الجميلة وللصيد والقنص[٣٠].

وقد امتدت حضارة المناذرة لها، فأنشأت فيها القصور والقلاع، والحصون، والمعابد والأديرة وغيرها، ولم يقف الأمر عند أمراء الحيرة فحسب وإنما تعدى ذلك إلى أثريائها حيث يذكر الدكتور جواد علي: (أما نواحيها – الحيرة فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى شاطئ الفرات، وربما كانت مزارع الحيرة وأملاك أثريائها قائمة على جرف البحر...)[٣١].

وقد اكتسبت النجف كمنطقة أبعاداً حضارية لارتباطها بمملكة الحيرة بما بني على أرضها أديرة وقصور وقلاع، وما قصر الخورنق والسدير إلا عنواناً من

عناوين حضارتها في النجف ■

(١) معجم البلدان، ٣٣١/١.
(٢) اليعقوبي، البلدان، ص٦٩.
(٣) معجم البلدان، ٣٢٨/٢، البغدادي، مراصد الاطلاع، ٤٤١/٢.
(٤) تقويم البلدان، ص٢٩٩.
(٥) صبح الاعشا في صناعة الانشا، ٣٣٣/٤.
(٦) مصطفى جواد، ، النجف والحيرة، بحث مستل من موسوعة العتبات المقدسة "القسم الخاص بالنجف"، ١/ ص٢٦.
(٧) مدينة الكوفة في التاريخ وآثار الحيرة فيها، مجلة الاعتدال، العدد الخامس، السنة الثانية، ١٩٣٤، ص٢١٢.
(٨) الحموي، معجم البلدان، ٢٧٢/٥.
(٩) ابن طاووس، فرحة الغري، ص٥٨ ، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٤٤/١٠٠.
(١٠)، ديوان، ص٣٠٩.
(١١) الطبري، تاريخ، ٦١٢/١، مسكويه، ٥٢/١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٣/١، جوادعلي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٤٩/١.
(١٢) غنيمة، الحيرة، ص١١.
(١٣) مديرية الآثار العامة، دليل المواقع الأثرية، بغداد، ١٩٧٠، ص٤٣.
(١٤) عبد الحميد بخيت، المجتمع العربي الإسلامي، ص٧٣.
(١٥) صالح أحمد العلي، امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٣٢، ١٩٨١، ص١٩.
(١٦) عبد الحميد الدجيلي، الحيرة وشعراؤها، مجلة الاعتدال، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٩٣٣، ص٨٢.
(١٧) إبراهيم محمد علي، المناذرة دراسة سياسية حضارية (٦٢٨ – ٦٠٢م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٢، ص٢٢.
(١٨) أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، ١٩٨/٢.
(١٩) سالم أحمد محل، دور العرب في الصراع مع الساسانيين والبزنطيين، مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل، العدد السادس عشر، تشرين الثاني ١٩٨٦، ص٣٨١.
(٢٠) الحموي، معجم البلدان، ٣٩٢/٢٠.
(٢١) ياقوت، معجم البلدان، ٣٩٢/٢، البراقي، تاريخ الكوفة، ص١٤٣، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٩٠.
(٢٢) جعفر الخياط، النجف في المراجع الغربية، بحث مستل من موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف)، ٢٤٤/١.
(٢٣) أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ٢٨٣/٢.
(٢٤) رشاد الخطيب الهيتي، هيت أخبارها القديم والحديث، ٢٤/١.
(٢٥) نيكلس، تاريخ الأدب العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص٢٢.
(٢٦) كستر، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ص٣٣.
(٢٧) جواد، النجف مصحة قديمة، بحث مستل من موسوعة العتبات المقدسة (قسم النجف)، ص٢٣.
(٢٨) المسالك والممالك، ص٥٨.
(٢٩) الأصفهاني، الأغاني، ١٨٠/٥، الحموي، معجم البلدان، ٢٧١/٥.
(٣٠) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ٦٨٠/٤.
(٣١) المصدر نفسه، ١٥٨/٣.

خير من ألف شهر

ذكر مقدار المدة من الزمان و ما ملكت فيه بنو أمية من الأعوام

المدة إجمالاً:

كان جميع مُلك بني أمية الى أن بويع أبو العباس السفّاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص، لأنهم ملكوا تسعين سنة، وأحد عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً.

تفصيل المدة:

قال المسعودي: والناس متباينون في تواريخ أيامهم، والمعول على ما نورده وهو الصحيح عند أهل البحث ومن عني بأخبار هذا العالم، وهو أن معاوية بن أبي سفيان ملك عشرين سنة، ويزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، ومعاوية بن يزيد شهراً وأحد عشر يوماً ومروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام، وعبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً، والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويومين، وسليمان بن عبد الملك سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، وعمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، ويزيد بن عبد الملك أربع سنين وثلاثة عشر يوماً، وهشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام، والوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة وثلاثة أشهر، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين وعشرة أيام، وأسقطنا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كإسقاطنا أيام إبراهيم بن المهدي أن يعد في الخلفاء العباسيين، ومروان بن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين وعشرة أيام، إلى أن بويع السفاح، فتكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، يضاف إلى ذلك الثمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بني العباس إلى أن قتل، فيصير مُلكهم إحدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً.

يُوضع من ذلك أيام الحسن بن علي - وهي خمسة اشهر وعشرة أيام - وتوضع أيام عبد الله بن الزبير إلى الوقت الذي قتل فيه - وهي سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيام - فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر، يكون ذلك ألف شهر سواء.

وقد ذكر قوم أن تأويل قوله عز وجل: ﴿ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر﴾ ما ذكرناه من أيامهم ■

حكاية مستبصر..

أحمد راسم النفيس

(مصر ـ شافعي)

ولد عام ١٣٧٢هـ في مدينة (المنصورة) بمصر، كان أبوه من رجال التعليم، وأما جده فكان عالماً من علماء الأزهر الشريف يقوم بالخطابة في مسجد القرية، وكان له منتدى يجتمع فيه المثقفون من أبناء هذه القرية، يتعلمون على يديه العلوم الدينية والفقهية...

يقول الدكتور أحمد: تفتحت عيناي على أسماء الكتب والمؤلفات الحديثة...، فتعلمت من أبي وجدي حبّ القراءة والاطلاع، وقرأت كل ما وقع تحت يدي من كتب أثناء طفولتي إلا كتاب واحد عجزت عن مواصلة القراءة فيه، وهو (**أبناء الرسول في كربلاء**) للكاتب المصري خالد محمد خالد، حيث كنت أجهش بالبكاء في اللحظة التي أمسك فيها الكتاب وأعجز عن مواصلة قراءته....

وفي عام ١٩٧٥م وبعد سلسلة من الاستفزازات اليسارية، خضنا الانتخابات الطلابية تحت راية التيّار الإسلامي في مواجهة التيار اليساري، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لليسار وانتصار باهر للتيار الإسلامي، وتسلمت رئاسة الطلاب بكلية طب المنصورة لعامين متتالين.

من هنا كانت البداية

انتصرت الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٩م، فأعجب الدكتور أحمد بهذا الشعب المسلم (الشيعي) أشد الإعجاب .

يقول الدكتور: ضايقني أن يكون ذلك الشعب (منحرف العقيدة) كما وصفه بعضهم من غير المنصفين. وبقي على هذا الاعتقاد حتى وقعت الحرب العراقية الإيرانية.

وفي هذه الآونة أمطرت الساحة المصرية بوابل من الكتب الصفراء التي تتهجّم على المسلمين الشيعة، وانطلق التيار السلفي ليقوم بالدور المرسوم له في مهاجمة المسلمين الشيعة وبيان بطلان عقائدهم. ومن الواضح تماماً أنّ هؤلاء كانوا ينفذون خطاً مرسوماً ومدعوماً، يكشف بوضوح الرؤية البعثية العراقية التي امتطت ظهر السلفية.

دواعي اختياره للمذهب الحق

في صيف عام ١٩٨٤م، عثرت في إحدى المكتبات على كتاب عنوانه: (**لماذا اخترت مذهب أهل البيت؟**)، فاستأذنتُ في أخذه، فأخذت الكتاب، وقرأته، فتعجبت، ثم تعجبت كيف يمكن لعالم أزهري هو الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي مؤلف الكتاب أن يتحول إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، فأرقتني هذه الفكرة آونة، وقلت في نفسي: هذا الرجل له وجهة نظر ينبغي احترامها، فلم أقرر شيئاً آنئذ واحتفظت بالكتاب.

وبعد عام وفي التوقيت نفسه، وفي المكان نفسه، عثرت على الكتاب الثاني: (**خلفاء الرسول الاثنا عشر**) فقرأته وفهمته ولم أقرر شيئاً، ولكنني شعرت بأنني اقترب بصورة تدريجية إلى فكر أهل البيت عليهم السلام.

ويضيف الدكتور: مضت أيام، وكان هناك معرض للكتاب في كلية الطب بالمنصورة،

فمررت به فوجدت كتاباً بعنوان (**الإمام جعفر الصادق**) تأليف المستشار عبد الحليم الجندي.

فقلت في نفسي: هذا كتاب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام من تأليف كاتب مصري سُنّي، فأخذته وقرأته وتزلزل كياني لما فيه من معلومات عن أهل البيت عليهم السلام طمستها الأنظمة الجائرة وكتمها علماء السوء، فان القوم لا يطيقون أن يذكر آل محمد بخير.

فعدتُ إلى الكتابين السابقين، وأخرجت ما فيهما من المعلومات، ووجدتها جميعها من مصادر سُنية، فقلت في نفسي: لعلّ المسلمين الشيعة كذّبوا فأوردوا على الناس ما لم يقولوه! فلنعد إلى هذه المصادر بنفسها، فقمتُ بعملية جرد دقيق لجميع هذه الكتب، سواء منها ما كان في مكتبتي الخاصة، أم كان في مكتبة جمعية الشبان المسلمين، وتحققت فعلاً من صحة هذه المعلومات.

يقول الدكتور أحمد: لم تمض إلا أسابيع بعد البحث الجاد والمقارنة بين المذهب السني والمذهب الشيعي إلا وكانت المسألة محسوسة تماماً من الناحية العقائدية، ثم التقيت بواحد من الأصدقاء القدامى الذي وجدته على هذا الأمر، وبدأنا في دراسة بعض الأحكام الفقهية اللازمة لتصحيح العبادات.

وكنت مشغولاً في هذا الوقت في إنهاء رسالة الدكتوراه، حتى أنني أقفلت عيادتي للتفرغ للعمل بهذه الرسالة، وقبلت في نيسان عام ١٩٨٦ وبدأت أتأهب لدخول امتحانات الدكتوراه في تخصص الباطنية العامة. فأقبلت على القراءة العلمية وكانت راحتي ومتعتي الوحيدة إذا أصابني الملل من القراءة في الطب، هي اللجوء إلى كتب أهل البيت عليهم السلام.

ردود الفعل الاجتماعية

لم تمض فترة قصيرة من شيوع خبر

استبصار الدكتور أحمد إلاّ وبادر أصحاب العقليات المنغلقة بإلصاق تهمة الانحراف الفكري والخلل والعقلي بشخصية الدكتور، ثم تصدى البعض لتسقيط شخصيته والإطاحة بسمعته، بحيث أدى هذا الأمر إلى مقاطعة من قبل جمع غفير من الناس.

فيقول الدكتور: كنت أتساءل بيني وبين نفسي عن سر هذا العداء والشراسة في مواجهة كل من ينتمي إلى خط آل بيت النبوة، وما هي الجريمة التي ارتكبها أولئك المنتمون؟

ويضيف أيضاً: ثم اخذ التآمر شكلاً آخر، وخطّط البعض لإخراجي من عملي بالجامعة، فبذلوا أقصى جهدهم لذلك وحاولوا استخدام كل ما لديهم من وسائل، ومن هنا تم تأخير حصولي على الدكتوراه من عام ١٩٨٧م حتى ١٩٩٢ م

ست سنوات كاملة من الضغوط الوظيفية والمعاشية كي يجبروني على تغيير عقيدتي لكنهم لم يستطيعوا أن يزعزعوا أنملة من التزامي بمذهب أهل البيت عليهم السلام ■

من كتاب (المتحولون/٤٣٥) بتصرف

حكم ومواعظ

ما روي من حكَم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

- **النصيحة من أخلاق الكرام. الخديعة من أخلاق اللئام.**
- **المروة تحث على المكارم. الدين يصد عن المحارم.**
- **القدرة تظهر محمود الخصال. المال يبدي جواهر الرجال.**
- **الظلم يطرد النعم. البغي يجلب النقم.**
- **الكذب يزري بالإنسان. النفاق يفسد الإيمان.**
- **المرء مخبوء تحت لسانه. الكريم من بدأ بإحسانه.**
- **السخاء سجية. الشرف مزية.**
- **الجود رئاسة. الملك سياسة.**
- **الأمانة إيمان. البشاشة إحسان.**
- **الدين يجل. الدنيا تذل.**

مسابقة العدد (٣٧)

١ «دع عنك حيرة الحيران، واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان» جواب الإمام الهادي عليه السلام لأحد أصحابه حينما سأله عن أقوالهما. فمن هو ذلك السائل؟

أ ـ أبو هاشم الجعفري　　ب ـ محمد بن الفرج

ج ـ علي المعروف بـ(علاّن)

٢ «أن يرجعني إلى حضرتكم خير مرجع، إلى جناب ممرع وخفض موسع» فقرة من زيارة مشهورة يستحب الاتيان بها عند الأئمة الأطهار عليهم السلام، فما اسمها؟

أ ـ الجامعة الرجبية　　ب ـ آل ياسين

ج ـ الجامعة

٣ نزل الإمام الكاظم عليه السلام في طريق الحج كما في خبر شقيق البلخي مكاناً واستقى من بئر فانقطعت الركوة وسقطت، فدعا الإمام قائلاً: «أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء» ففي أي مكان كان ذلك؟

أ ـ زُبالة　　ب ـ واقصة　　ج ـ القادسية

٤ ولدته في حرم الإله وأمنه

والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة

طابت وطاب وليدها والمولد

أشهر أبيات قيلت في مولد الإمام علي عليه السلام فمن الشاعر؟

أ ـ الشريف الرضي　　ب ـ الكميت الأسدي

ج ـ السيد الحميري

كوبون المسابقة

ينابيع ٣٧

جواب السؤال الأول	أ	ب	ج

جواب السؤال الثاني	أ	ب	ج

جواب السؤال الثالث	أ	ب	ج

جواب السؤال الرابع	أ	ب	ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/شوال/١٤٣١هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

٥ للعقيلة زينب عليها السلام عدد من الأولاد منهم من استشهد في كربلاء ومنهم من بقي، فكم بقي منهم؟

أ ـ ثلاثة　　ب ـ اثنان　　ج ـ واحد

٦ لما ولدت فاطمة بنت أسد الإمام علي عليه السلام في البيت الحرام قالت: «إني فضلت على من تقدمني من النساء» فكم عددت منهنّ؟

أ ـ اثنان　　ب ـ ثلاثة

ج ـ أربعة

٧ شرح من شروح نهج البلاغة ألّفه السيد حبيب الله الموسوي الخوئي المتوفى سنة ١٣٢٤هـ يقع في عدة مجلدات فما اسم الشرح؟

أ ـ منهاج البراعة　　ب ـ منهاج الكرامة

ج ـ منهاج السعادة

٨ موضع داخل المدينة شهد واقعة مشهورة عُرفت باسمه وقتل فيها ذو النفس الزكية، فما اسم الموضع؟

أ ـ وادي الزاهر　　ب ـ أحجار الزيت

ج ـ الأبواء

٩ عالم فاضل وابن عالم فاضل، كلاهما نالا أوج المعالي وتدرجا في مراقي العلم، يطلق عليهما الصدوقان، فمن هما؟

أ ـ جعفر بن محمد بن قولويه

ب ـ محمد بن علي بن بابويه

ج ـ محمد بن علي بن مهزيار